

الفصل الرابع

المعرفة في فكر النورسي

المبحث الأول

ويتضمن على ما يلي:-

مدخل.

المعرفة لغة.

المعرفة في الاصطلاح القرآني.

معنى لفظ المعرفة عند الفلاسفة المحدثين.

مفهوم المعرفة عند النورسي.

المعرفة في فكر النورسي

مدخل:

تنطلق رؤية الإسلام إلى العلم وعنايته بالمعرفة بمختلف أنواعها وتعدد مجالاتها وآفاقها من اهتمام الله تعالى وعنايته البالغة بتعلم البشر - منذ بدء الخليقة - جملة من العلوم وأصنافاً من المعارف التي تفي بحاجته، والتي لا تستقر الحياة بدونها، حاضراً ومستقبلاً، ليتمكن من تعمير الأرض والاستقرار فيها، وليطمئن من الخلافة فيها وإدارة شؤونها التي هي الوظيفة الأساسية والحكمة الكامنة من خلقه ووجوده في قيد الحياة •

وليكون أفضل مخلوقات الله تعالى وأشرفهم في هذا الوجود المتميز، وخير دليل على ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ^(١)

وهذا دليل على أن الإنسان ما فاز بالتشريف والخيرية والاستخلاف إلا بسبب ما تميز به عن سائر مخلوقات الله بالعلم والمعرفة •

بل إن العلم والمعرفة كانت من الأسباب التي جعلت الملائكة وهم أطهر مخلوقات الله تسجد لهذا الإنسان الخليفة المكرم •

وعلى هذه العناية بعث الله رسوله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ليرفع راية العلم والمعرفة خفاقة بين الشعوب الإسلامية، مع محاربة الجهل والامية والقضاء على التقليد الأعمى حتى يتلاشى ويندثر، فيبقى الناس على الحرية الكاملة في الفكر والاعتقاد •

ومصادقية هذا القول تتجلى في أول كلمات الوحي التي نزلت على الحبيب محمد وأستهل بها رسالته بكلمة "اقرأ" والتي تدعوا إلى العلم والمعرفة، وذلك في قوله تعالى {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿١﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ ^(٢)

فالإسلام يقرر أنه لا يمكن أن يسموا بالأمة إلى المستوى الأعلى والأرقى والانطلاق

(١) سورة البقرة: آية رقم (٣١).

(٢) سورة العلق: آية رقم (١-٣).

بهم إلى بلوغ الكمال إلا " بالعلم والمعرفة " وإعمال العقول وتشغيلها في النظر والتفكير الحر فيما أودع الله في هذا الكون البديع " ^(١)

ولقد ساد المسلمون الأوائل بفضل دعوة القرآن المعرفية لهم العالم كله، وشيدوا حضارة عظيمة •

ولكن شيئاً فشيئاً وبسبب البعد عن المصدر المعرفي الأول للمسلمين (القرآن الكريم) كان الانحطاط الحضاري والمعرفي في كثير من بلاد المسلمين •

" وذلك لأن واقع الجهل الذي ربطنا بديننا جعلنا نتهاذى في الابتعاد عن مراميه البناء حتى بات الدين غريباً بيننا •

ومما زاد الوضع تفاقمًا هو انحرافنا المعرفي عن أصول هذا الدين القويم " ^(٢)

هذا بالإضافة إلى تلوث المعرفة الإسلامية من الثقافات الأُممية والكتابية نتيجة الفتوحات التوسعية واحتضان الأقوام الوافدة إلى حظيرة الدين الإسلامي واندماجها في البوتقة المعرفية الإسلامية " ^(٣)

وبين النورسي أن جهلنا بحقائق الإسلام جعلنا نُدخل فيه من التعاليم والمفهوم ما ليس منه •

وبين كيف شوه دخول الإسرائيليات وقسم من الفلسفة اليونانية الأفكار والحقائق التي جاء بها الإسلام •

لهذا فإن النورسي " يستغيث المأماً من حرقة فؤاده على تدني الأمة المعرفي " ..

ويقول أيضاً: " لقد اتخذنا فتركتنا جوهر الإسلام ولبابه، وحصرنا النظر في قشرة

(١) داود عبد الكريم زكريا: عناية الإسلام بالعلم والمعرفة، ص ١١، نقلاً من صحيفة الدعوة الإسلامية، العدد رقم (١١٢٢)، بتصرف..

(٢) د/ عشراي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٣٢٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٠٤ وانظر: د/ عشراي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٣٢٤ •

الظاهري وأسأنا الفهم فأسأنا الأدب معه، وعجزنا عن أن نوفيه حقه حق الإيفاء، وما يستحقه من الاحترام، حتى رغب عنا ونفر منا وتستر بسحائب الأوهام والخيالات..

والحق معه، إذ نزلنا الإسرائيليات منزلة أصوله وأدخلنا الحكايات في عقائده ومزجنا مجازاته بحقائقه فبخسنا حقه فجازانا بالإذلال والسفالة في الدنيا " ^(١)

ولقد كان النورسي يتمزق ألماً من انحطاط وراثته مستوى المعرفة، الذي تلازمه الأمة في قرن الخوارق، وترديدها لمعارف وهمية تجاوزها الزمن، بحيث بات التمسك بها أو التوقف عندها وصمة عجز وجهل، لأنها معرفة مخنطة تتجاوز بآثارها السيئة نطاق الأفراد لتطال الأمة وتسيء حتى للعقيدة.

من هنا كان النورسي يستنكر موقف التزمت الذي كان يقفه علماء حيال مسائل معرفية بت فيها العلم وحسم أمرها.

ولقد جاء استنكاره حمية للدين، وليس تظاهراً بالمعرفة لذات التظاهر، لأنه يريد للناطقين

بأسم الإسلام أن يكونوا على مستوى من الاستتارة، التي من شأنها ليس فقط تنوير الأمة ولكن شد الناس من الملل والنحل الأخرى إليها، تأثراً بمستوى الرشاد المعرفي الذي ينبغي أن يتجمل به المسلمون، لأن طبيعة عقيدتهم نيرة، وآخذة بمبادئ العقل.

ولقد كان رائده في هذا المجال شيخه الغزالي في تصويب الأفكار والقناعات •

فقد تصدى (النورسي) مثلاً لتسديد مسائل علمية، كانت عقول المسلمين تحرفها، وذلك حين راح ييث فتواه بين الناس والتي مفادها " أنه من أنكر أمراً ثابتاً بالبرهان القطعي ككروية الأرض بحجة الحفاظ على الدين فقد تجنى على الدين جناية عظمى، إذ

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٢٢. وانظر د/ عشراقي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٣٢٠-٣٢١،

هذا ليس وفاء للإسلام بل خيانة له " (١)

ويرى النورسي أن التحجر المعرفي عندنا قد زاد من توسيع الهوة بين الدين الإسلامي وبين الأجانب، مما أدى إلى اعتقادهم بأن مبادئ الإسلام تتناقض مع حقائق العلم والمعرفة فيقول النورسي: "إن أهم الموانع والبلاء النازل هو توهمنا - نحن والأجانب - بخيال باطل وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم •

فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها •

نعم: إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا وحرمان الأجانب من سعادة الآخرة وحجب شمس الإسلام وكسفها هو: سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم •

وهذا الفهم الخطأ أوصد أبواب المدنية والمعرفة في وجه الأكراد وأمثالهم " (٢) حيث حرم الأكراد من العلوم والمعارف •

ونظراً " لتدني العلوم في المدارس الدينية، فقد حرم الأكراد من العلوم والمعارف لعدم معرفتهم باللغة التركية، ولعدم معرفة معلمهم باللغة المحلية •

لذا لا يجدون أمامهم سوى الانخراط في المدارس الدينية طريقاً للمعرفة، مما يسبب شماتة الغرب لتفشي الجهل وحدوث الاضطرابات وانتشار الشبهات والأوهام فيما بينهم.

لهذا سعى النورسي إلى تدريس العلوم الدينية مع العلوم الحديثة الضرورية، وذلك لتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوربية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة تحت مظلة مدرسة الزهراء على غرار الأزهر الشريف.

ويجمل النورسي بعضاً من فوائد وثمرات هذه المدرسة ومنها:-

- اقتحام المعرفة عن طريق " المدرسة " إلى كردستان، لفتح طريق لجريان العلوم

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٧٠ وانظر. د/ عشراق سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٣٣٤-٣٣٥،

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ٥٠٦.

الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية.

- وإظهار محاسن "المشروطة" و "الحرية" والاستفادة منها^(١)

وبجانب سعي النورسي لنشر المعرفة، فإنه يستنهض الأمة الإسلامية أن "يحفروا بالفكر الملي في جوف الأمة حوضاً للمعرفة"^(٢)

وذلك لأن "مستقبل الإسلام وآسيا يكمن في قوة الإسلام الحقيقية المدعمة بالمعرفة والمدنية"^(٣)

وإذا "سأل أحدكم تقوم المدنية؟

فالجواب: على المعرفة والصناعة والتجارة •

وإذا سأل: بم تدوم البشرية وتبقى؟

فالجواب: بالعلم والعمل"^(٤)

ثم يبرز النورسي للأمة الإسلامية سؤالاً يستفز به القوى الكامنة في النفوس، ويستنفر همهم وعزيمتهم، ولكي يبين أنهم ليسوا أقل شأنًا من الأمم الأخرى، بل الأفضلية لنا إذا نهلنا من منبع المعرفة الموحى به من السماء، فيقول: "لماذا تكون الدنيا ميدان تقدم وترق للجميع وتكون لنا وحدنا ميدان تأخر وتدن"^(٥)

مع "أن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتيمها كقوله تعالى (فاعلموا.. فاعلمهم.. أفلا تعقلون... أفلم ينظروا... أفلا يتذكرون... أفلا يتدبرون... فاعتبروا يا أولي الأبصار...)

وأماها من الآيات التي تخاطب العقل البشري فهي تسأل:

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٩٧-٥١٠. باختصار.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤١٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٥.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٧٤.

(٥) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ١١٤.

لم تتركوا العلم وتختارون طريق الجهل ؟

لم تعصبون عيونكم وتعامون عن رؤية الحق ؟

ما الذي جعلكم على الجنون وانتم عقلاء ؟

أي شيء منعكم من التفكير والتدبر في أحداث الحياة ؟ " (١)

" فقطار الزمن لا ينتظر من يتخلف عنه بل يمضي في طريقه لا يلوي على شيء ويترك

من وراءه من المتخلفين

لقد هز النورسي بدعوته للمعرفة من أجل امتلاك ناصية العلوم، وهدم جدران الجهل المطبق بظلامه على عقول المسلمين، وناشدهم الاجتهاد في علوم العصر كاجتهادهم في علوم الدين، لأن كليهما - أي الدين والعلوم الحديثة - وجهان لعملة إلهية واحدة " (٢)

لقد كان النورسي على وعي وإدراك بضرورة اليقظة المعرفية للمسلمين، وخاصة بعد سقوط الخلافة وقيام الجمهورية، وذلك لصد الغش الثقافي والمعرفة المشوشة الوافدة والمتلبسة بثوب العلمانية •

هذه العلمانية التي جاءت لمحو وطمس كل معرفة إسلامية، وأخذت تتلصص في الظلام كالحفافيش بين العقول، وخاصة عقول الناشئة لطرح المعرفة الإلحادية والمادية بمصطلحات ومفاهيم نتج عنها أفكار عنصرية •

كل هذا لإزالة كل معرفة إيمانية تتصل بالمصدر المعرفي الأول للمسلمين (القرآن) وهذا لعدم ارتقاء الإنسان لمعرفة خالقه، وطمس إنسانيته في مستنقع الإلحاد والمادة •

ولعل ما يؤكد هذا، هو ما ذكره النورسي في كتابه " الكلمات "، حيث يقول:

" جاءني فريق من طلاب الثانوية في " قسطنطيني " قائلين:

عرفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا •

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.

(٢) أديب الدباغ: مطارحات المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص ١٧، مركز الكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

فقلت لهم: إن كل علم من العلوم التي تقرؤونها يبحث عن الله دوماً، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة، فأصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين^(١)

بل لقد وصل الأمر في طمس كل معرفة إيمانية إلى حد أن دائرة معارف "الحياة" التركية الرسمية، الإعلان عن إنكارها أي معرفة بالله أو وجوده •
ولعل الاقتباس التالي يوضح الجو المعرفي السائد آنذاك:

"إن الفكرة التي تريد الأديان الموجودة حالياً أن تبينها هي: أن الله واحد، وأنه هو الذي خلق الكون، ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح شيئاً فشيئاً بأن هذه الفكرة باطلة، وأنه لا وجود لشيء اسمه الله (وللأسف الشديد، فقد انتشرت هذه الفكرة حتى بين أوساط المثقفين) •

ولعل هذا الطرح كان الغرض منه إيجاد معرفة مادية لا تركز على الأخلاق أو الدين لكي تكون بديلة عن المعرفة الإيمانية الأخلاقية •

وهذا الطرح الجديد للمعرفة سخرت له السلطة كل إمكانياتها ومقوماتها وأدواتها من أجل قطع ومسح وبتروا صر أي معرفة لها صلة بالعقيدة الإسلامية، وتنشئة الجيل الجديد على ذلك •

ومما يؤكد ذلك ما ذكره الكاتب التركي "عثمان يوكيسل" وهو يخاطب نفسه في كتابه "كيف أفسدوا جيلاً كاملاً" فيقول: - "في أحد الأيام وأنا في المدرسة الابتدائية، التفت إلينا المعلم مستفسراً •••؟

أيها الصغار •• ما رأيكم •• هل هناك شيء اسمه الله؟

واحتار الطلاب أمام هذا السؤال الذي لم يسمعه ولم يفكروا به سابقاً، وقد أجمعهم الصمت والذعر •• ولكن لم أسكت، بل صرخت: نعم •• يوجد •

فضحك المعلم وهو يقول: لا يوجد مثل هذا الشيء أيها الصغار، فهذه حكايات

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١٧٥

العجائز وهو كذب، فازدادت حيرة واضطراب الطلاب ٠٠٠ حكايات ٠٠ عجائز ٠٠ وهو كذب ٠

ويدأوفكرون في " الغيلان " التي يسمعون عنها في الأساطير، فهل كان الله غولاً؟
حاشا لله ثم بدأ المعلم الحديث مرة أخرى قائلاً: أيها الصغار أهتفوا جميعاً وبصوت واحد:
أعطنا الحلوى يارب ٠٠ وهتف الصغار: أعطنا الحلوى يارب ٠٠ فلم يرد أي جواب

ثم قال المعلم: والآن أهتفوا ٠٠ أعطنا الحلوى يا معلمنا ٠٠ فهتف الصغار: أعطنا
الحلوى يا معلمنا ٠٠ ابتسم المعلم ابتسامة صفراء، واستدار مخرجاً بعض الحلوى من جيبه
وقام بتوزيعها على الصغار الذين كانوا يراقبون المعلم بنظرات وجلة حائرة ٠

ولم يكن أحد منهم قد استوعب بعد معنى ما حدث، كان صمت عميق يسود الصف،
فالكل يتظر ويتشوق لمعرفة ما آل إليه الأمر ٠

ثم علا صوت المعلم ثانياً: كما ترون أيها الصغار، فإن الله غير معروف وغير موجود
فلو كان موجوداً لعرفتموه ورأيتموه كما رأيتموني ٠

لقد هتفتم طالبين الحلوى منه فلم يسمعكم ولم يجلبها لكم، وطلبتم الحلوى مني
فجلبتها إليكم وذلك لأنني موجود وانتم موجودون، فنحن نعطي ونحن نأخذ ٠

وهنا قذفت الحلوى بوجهه صارخاً: أنت كافر ٠٠٠ فلطمني المعلم على وجهي ٠

وفي يوم آخر، قام المعلم بتعليق صورة شخص يلبس قبعة على رأسه (مثل قبعة المعلم)
على للسبورة السوداء قائلاً: هذا هو إلهنا، فهذا نعرفه ونراه بأعيننا ونستطيع لمسه بأيدينا
هذا هو " مصطفى كمال " الذي أنقذنا وأوجدنا من العدم " (١)

ولعل هذا المدخل له من الأهمية (من وجهة نظري) في تحديد بوصلة الاتجاه المعرفي عند
النورسي ٠

(١) أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص ١٣٥، ١٣٩، سوزلر، القاهرة ٠
بتصرف.

والسؤال الذي يطرح نفسه على ساحة البحث، وهو: - ما هو مفهوم المعرفة عند النورسي..؟

هذا ما سنجيب عليه في الصفحات التالية من هذا البحث...٠٠٠

مفهوم المعرفة في فكر النورسي

بداية يحسن بنا أن نبدأ بتعريف تحليلي للفظـة " المعرفة " تمثيلاً مع ما يقتضية التأصيل العلمي وتستدعيه قواعد البحث.

المعرفة في اللغة:

ورد في معجم اللغة العربية (المعجم الوجيز) في باب العين (وهو الحرف الثامن عشر من حروف الهجاء) لفظ معرفة، ومنها قولهم:

" (عَرَفَ) الشيء - عِرْفَانًا، ومعرفة: أي أدركه بحاسة من حواسه •

ويقال: عرف لله فضله، أي نعمه وإحسانه، فهو عارف وعُروف

(عرف) - عَرِافَةً: صار عالماً بالشيء أو قياً عليه.

(عرف) الحجاج: وقفوا بعرفات •

وفي القرآن الكريم: [ويدخلهم الجنة عرفها لهم]

وعليهم عرفياً: أقامه ليعرف شئونهم...و(اعترف) بالشيء: أقربه

(تعرف، وتعارفوا): عرف بعضهم بعضاً.

(التعرف): تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة.

(التعريفه): قائمة تحدد أثمان السلع وأجور العمل أو رسوم النقل.

(العراف): المنجم

(العُرف): المعروف، وهو خلاف النكر، و: ما تعارف عليه الناس في عاداتهم

ومعاملاتهم. و-: لحمـة مستطيلة في أعلى رأس الديك.

(المَعْرُوف): كل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع، وهو خلاف المنكر.

:والصنعة يسلمها المرء إلى غيره" (١).

(١) معجم اللغة العربية "المعجم الوجيز": ص ٤١٥، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩٢م.

المعرفة في الاصطلاح القرآني

لم يرد لفظ "المعرفة" في القرآن الكريم، ولكن وردت له اشتقاقات كثيرة:
- فجاء بصيغة الماضي: كما في قوله تعالى { تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِن
الْحَقِّ }^(١)

وجاء بصيغة الفعل المضارع: كما في قوله تعالى { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوتَهَا... }^(٢)
قد ذكر الحسين بن محمد المعروف بالراغب "الأصفهاني" ت: (٥٠٢هـ) أن معنى "المعرفة" في هاتين الآيتين: (إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره)

وجاءت في القرآن - أيضاً - صيغة "عرف" بمعنى: بين، واعلم، كما في قوله تعالى:
{ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ
وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ }^(٣)

وصيغة أعترف بمعنى أقره: كما في قوله تعالى { وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ }^(٤)
وكذلك "المعروف" وهو: ما عرف حسنه بالعقل أو الشرع، كما في قوله تعالى
{ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالمَعْرُوفِ }^(٥)

و"العرف" بمعنى المعروف كما في قوله تعالى { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ }^(٦)
ويعني "التابع" كما في قوله تعالى { وَالمُرْسَلَاتِ عُرْفًا }^(٧)

وعليه: فإن "المعرفة" في القرآن إذا جاءت فعلاً صادراً من الإنسان تعني: إدراكاً
لشيء بتفكير وتدبر لأثره.

(١) سورة المائدة: آية رقم (٨٣)

(٢) سورة النحل: آية رقم (٨٣)

(٣) سورة التحريم: آية رقم (٣)

(٤) سورة التوبة: آية رقم (١٠٢)

(٥) سورة البقرة: آية رقم (٢٤١)

(٦) سورة الأعراف: آية رقم (١٩٩)

(٧) سورة المرسلات: آية رقم (١)

وإلى هذا المعنى تعود معاني المشتقات الأخرى المشار إليها، عدا الصيغة الأخيرة، الذي

يعود إلى المعنى اللغوي "التابع" ^(١)

"وبما أن لفظة "العلم" مرتبطة إرتباطاً كبيراً بلفظة "المعرفة" حتى لتبدوان مترادفتين، أو متداخلتين، خصوصاً وعموماً •

ذلك لأن أكثر العلماء المسلمين يركزون في بحثهم مسائل نظرية "المعرفة" على كلمة "العلم" أكثر من كلمة "المعرفة" •

لذا سأتناول الفرق بينهما من جهة "اللفظ" ومن جهة "المعنى" ^(٢)

"وقد بين "ابن القيم" ^(٣) جوانب الفرق بين العلم والمعرفة في القرآن، نذكر منها:

١- الفرق اللفظي: حيث يقع فعل المعرفة على مفعول واحد: قال تعالى: {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} ^(٤) •

بينما يقتضي فعل العلم مفعولين، كقوله تعالى: {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ} ^(٥) •

فإن وقع على مفعول واحد كان بمعنى "المعرفة" كما في قوله تعالى: {وَأَخْرَيْنَ مِنَ

(١) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص ١٢، دار المحمدية،

١٩٨٠، وانظر كذلك، د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي،

ص ٣٨-٣٩، المؤيد، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، ١٩٩٢م

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص ١٢، وانظر كذلك،

د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٣٥.

(٣) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر، أحد تلاميذ ابن تيمية الأعلام، الذين تناولوا مختلف العلوم

الإسلامية ت (٧٥١هـ) انظر شذرات الذهب (١٦٨/٦) وكذلك الأعلام (٥٦/٦) نقلاً من مصادر

المعرفة في الفكر الديني والفلسفي.

(٤) سورة يوسف: آية رقم (٥٨)

(٥) سورة الممتحنة: آية رقم (١٠)

دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ }^(١) .

فالمعرفة أخص من العلم .

ويقال يعرف الله.. ولا يقال يعلم الله، متعدياً إلى مفعول واحد، لما كانت معرفة البشر هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته .

ويقال: الله يعلم كذا... ولا يقال: يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكير.

٢- الفرق من جهة المعنى:

أما الفرق من جهة المعنى فمن وجوه:

أحدهما: أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحوال الشيء .

فتقول: عرفت أباك وعلمته صالحاً .

ولذلك جاء الأمر في القرآن الكريم بالعلم دون المعرفة، كما في قوله تعالى: { فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }^(٢)

فالمعرفة: حضور صورة الشيء، والعلم حضور أحوال الشيء وصفاته .

والمعرفة: تشبه التصور، والعلم: يشبه التصديق "^(٣)،^(٤)

ثانيهما: " أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل عرفة .

(١) سورة الأنفال: آية رقم (٦٠)

(٢) سورة محمد: آية رقم (١٩)

(٣) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص ١٢، وانظر كذلك، د / عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٤١.

(٤) التصور: حصول صورة الشيء في العقل، والتصديق: حكم بالنسبة بين طرفين. انظر علي الجرجاني: التعريفات (٥٩)، المعجم الفلسفي (٢٧٧/١) نقلاً من د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة، ص ٤٢.

أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل:
عرفة ٠٠

فمن الأولى كما في قوله تعالى: {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} ^(١).

ومن الثاني: كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ} ^(٢)
فالمعرفة نسبة الذكر في النفس، وهو حضور ما كان غائباً عن المذاكر.

ولهذا كان ضد المعرفة الإنكار، وضد العلم الجهل، قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} ^(٣)

ثالثها: أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به غيره.
رابعها: أنك إذا قلت: علمت محمداً، لم تغد المخاطب شيئاً، لأنه ينتظر أن تخبره على أي
حال علمته، فإذا قلت: كريماً أو شجاعاً حصلت له الفائدة ٠

وإذا قلت: عرفت محمداً، استفاد المخاطب أنك أثبتته وميزته عن غيره، ولم يبق أن
ينتظر شيئاً آخر.

خامسها: أن المعرفة علم يعين الشيء مفصلاً عما سواه، بخلاف العلم ٠٠ فإنه يتعلق
بالشيء مجملًا ^(٤)

معنى لفظ المعرفة عند الفلاسفة المحدثين:

"أما لدى الفلاسفة المحدثين، فإن لفظ المعرفة: يطلق على أربعة معان:
أولها: الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن.

(١) سورة يوسف: آية رقم (٥٨)

(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٤٦)

(٣) سورة النحل: آية رقم (٨٣)

(٤) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام، ص ١٢، وانظر، د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي
مصادر المعرفة، ص ٤٢.

الثاني: الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع، بحيث تكون المعرفة محيطة موضوعياً بكل ما هو موجود للشيء في الواقع.

الثالث: مضمون المعرفة بالمعنى الأول.

الرابع: مضمون المعرفة بالمعنى الثاني.

فالمعنيان الأخيران: نتيجة للمعنيين الأولين .

ومن هذا قولهم: المعارف الإنسانية، قاصدين بها نتيجة تلك الجهود التي بذلها العقل البشري في مختلف جوانب الحياة.

أما المعنيان الأولان: فيمثلان درجتين في المعرفة هما: التصور والتصديق (وقد سبق وأن عرضنا ما ذكره "ابن القيم" في تفريقه بين معني العلم والمعرفة، حيث جعل المعرفة تصوراً، والعلم تصديقاً^(١))

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٤٤ - ٤٥.

المعرفة عند النورسي

إن البحث في مفهوم المعرفة هو بحث في عمق الإنسان وأفعاً وتاريخاً، إذ أن هذا المفهوم هو الذي تأسست عليه إنسانية الإنسان منذ وجد وظل ملازماً له وسيظل، ولذلك حظي بالعناية سواء على مستوى الوحي النازل، أو على مستوى الدراسات والتأملات البشرية المختلفة^(١)

والنورسي كان يرى أن قضية المعرفة من أهم القضايا المركزية في رؤيته التجديدية . وقد اتضح وتأكد عنده أن معالجتها هي المدخل الطبيعي لإعادة التوازن إلى شخصية الأمة ونفض الركام الذي غطى حقيقتها وشوهها وجعلها مثار سخيرة لأعداء الدين . وفي هذا السياق كانت جهوده قائمة على بيان وتوضيح وتأسيس مفهوم المعرفة وبيان أبعاده العظيمة .

ومن خلال بعض النصوص المستخلصة والمستخرجة من رسائل النور نستطيع أن نقف على مفهوم المعرفة عند النورسي، وجميعها لا تخرج عن نطاق " معرفة الله . بل إن النورسي يؤكد أن " أساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو " معرفة الله "، كما أن أس هذا الأساس هو " الإيمان بالله جل وعلا " (٢)

" فالمعرفة في اصطلاح النورسي ليست مجردة في الخيال ولا مخلقة في الهواء بدون معنى بل تأخذ دلالة محددة من خلال إضافتها إلى الله تعالى، فتصبح مصطلحاً قائماً بنفسه له دلالة الخاصة، وعلاقاته في النسق الذي يحتويه .

وبعبارة أخرى: فإن المعرفة الحققة لا تخرج عنده عن معرفة الله تعالى " (٣) ويحرص النورسي على تجلية مفهوم المعرفة بمعناه الإيماني الذي يورده القرآن الكريم

(١) أ.د/ مصطفى فوزيل: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص ٣٠٩، المؤتمر العالمي الخامس للنورسي، البحوث العربية، ٢٠٠٢ م.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٥٥.

(٣) أ.د/ مصطفى فوزيل: النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، مؤتمر، ص ٣١٢.

و يخاطب به الإنسان باعتباره مخلوقاً مكرماً متميزاً باستعدادات هائلة للتلقي والاستيعاب^(١) وذلك لحل إشكالية المسلم المعاصر، حيث يطرحها من خلال السؤال الآتي:

كيف يمكن للمسلم أن "يعرف بإيمان" ...؟

وأن "يؤمن بمعرفة" ...؟

وسؤال أكثر وضوحاً: كيف يستطيع أن يجعل من "الإيمان" طريقاً إلى "المعرفة" ومن "المعرفة" طريقاً إلى "الإيمان"؟^(٢)

ولترسيخ هذا التلازم يؤكد النورسي "أن أسمى غاية للخلق وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية هو "الإيمان بالله" .

واعلم أن أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية هو "معرفة الله التي في ذلك الإيمان" .. واعلم أن أزهى سعادة للإنسان والجن وأحلى نعمة.. هو "محبة الله النابعة من تلك المعرفة"

وفي هذا النص يرسم النورسي موقع معرفة الله تعالى في بنية الحياة الإسلامية للإنسان والنص يقرر ضمناً أنه لا يتصور "الإنسان في غياب أربعة أمور. ومنها:

غاية تعطى لوجوده معنى ... وموقع لائق في الكون ... وسعادة وطمأنينة تلبى حاجته الوجدانية ... ومتعه صافية تحييب الأشواق .

فهذه الأمور الأربعة مركوزة في فطرة الإنسان، وهي تستقي مضمونها الحقيقي من ماء الوحي النازل من عند الله تعالى، وتأخذ قوتها من الحبل الموصل به جل وعلا.

وبالتأمل في النص نجد لمفهوم المعرفة عند النورسي موقعاً خاصاً، حيث أنه لا يتصور إيمان بدون معرفه، كما لا يتصور معرفة إذا لم تنبع منها المحبة.

وقول النورسي "المعرفة التي في ذلك الإيمان" يقتضي الاندماج والامتزاج، حتى إنه

(١) أ.د/ مصطفى فوزيل: المرجع السابق نفسه، ص ٣١٢.

(٢) أديب الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص ٤٠.

ليصعب رسم الحدود بينها.

ومما يشهد لهذا: أنه لما سأل رسول الله ﷺ حارثه: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال أصبحت والله مؤمناً حقاً.

فقال عليه الصلاة والسلام: انظر ماذا تقول، فإن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت ليلي وأظلمات نهارى وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاونون فيها.

فقال عليه الصلاة والسلام: عرفت فألزم.

فوصف نفسه بالإيمان، ووصف إيمانه لرسول الله، فنعت الرسول ﷺ إيمانه بالمعرفة فقال له عرفت... ولم يقل آمنت^(١)

"فكوني مؤمناً يلزمي أن أعرف، لأن المعرفة تقويني وتعلمني لماذا يجب أن أكون مؤمناً، وكوني أعرف بصدق وعمق، فإن معرفتي تغدوا درجات في سلم ارتقائي إلى معرفة أسمى، هي معرفة الله تعالى"^(٢)

ويقرر النورسي أن الغاية من خلق الإنسان هي معرفة الله وتحقيق العبودية، حيث يقول متأملاً في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}^(٣)

يفهم من أسرار هذه الآية الجليلة: أن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه هي: "معرفة خالق الكون سبحانه" و"الإيمان به" والقيام بعبادته.

كما أن وظيفة فطرته، وفريضة ذمته هي: معرفة الله والإيمان به والتصديق بوجوده ويوحدياته إذعائاً ويقيناً^(٤)

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٢٨٩. وانظر د/ مصطفى فوضيل: المرجع السابق، ص ٣١٢، ٣١٣ بتصرف.

(٢) أديب الدباغ: مطارحات في 'المعرفة الإيمانية عند النورسي'، ص ٤١-٤٢.

(٣) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦)

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٣٥.

ويقرر في مقام آخر: "أن المقصد من القرآن ليس درس تاريخ البشرية بل نزل لتدريس معرفة الصانع"^(١)

ومما سبق يتضح أن مفهوم المعرفة عند النورسي لا تتجاوز المعرفة بالله ولا تتعدها باعتبارها أسمى المعارف ومنبع جميع المعارف، وهي ممزوجة ومتداخلة بالإيمان بالله، بحيث لا يمكن الفصل بينهما.

و"هذه المعرفة الإيمانية التي رسم "النورسي" ملامحها وخط حدودها ووضح مفهومها منبثقة من فهمه لقوله تعالى: {سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} ^(٢)

فهو يرى في ضوء هذه الآية العظيمة أن ما من معرفة عما تتبادلها العقول فيما بينها إلا وترجع في أصولها الأولى إلى واحدة من المعارف الثلاث الآتية:-

١- معرفة كونية: تشمل علوم ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

٢- معرفة إنسانية: تشمل الكينونة الإنسانية وكل ما يتعلق بالإنسان فرداً ونوعاً ظاهراً وباطناً.

٣- معرفة إلهية: ترتبط بوجود الله تعالى وبربوبيته وشئونه في خلقه .

وهذه المعارف الثلاث متلازمة، يلزم بعضها بعضاً، ويسند بعضها بعضاً، ويدل بعضها

على بعض، وهي في تعاشق دائم لا ينقطع، فليس ثمة معرفة منفردة ومستقلة ومنعزلة في هذا العالم.

وهذه المعارف الثلاث تمثل زوايا مثلث متساوي الأضلاع، تقوم قاعدته في أحد طرفيها على "المعرفة الكونية" وعلى "المعرفة الإنسانية" في طرفها الآخر، بينما تعلو قمته

(١) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص ٢٢٥.

(٢) سورة فصلت: آية رقم (٥٣)

"المعرفة الإلهية".

وعندما نقرأ المثلث من أي رأس فيه، فيمكن أن نرقى بقرأتنا من القاعدة إلى القمة أو ننزل من القمة إلى القاعدة •

أي: إما أن تكون معرفة الكون والإنسان طريقنا إلى الإيمان، أو يكون الإيمان طريقنا إلى معرفة الكون والإنسان، فمن أية واحدة منها يبدأ عقلنا رحلته المعرفية فإنه سيتهي لا محال إلى المعرفتين الآخرين •

فكان الثلاثة تشكل معرفة واحدة كما تشكل أضلاع المثلث جسماً هندسياً واحداً^(١) أي أن هذه المعارف الثلاث هي درجات لترقي الإنسان ليصعد على سلم المعرفة إلى الله.

(١) أديب الدبّاغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص ٤١-٤٢.

المبحث الثاني

ويتضمن على ما يلي:-

موقف النورسي من المعرفة الكلامية والصوفية.

موقف النورسي من المعرفة الفلسفية.

موقف النورسي من المعرفة الكلامية والصوفية.

يشارك النورسي مع الأئمة الذين نقدوا علم الكلام من أمثال الإمام أحمد بن حنبل والغزالي وابن رشد وابن تيمية وابن قيم الجوزي وجلال الدين الرومي، وغيرهم من العلماء والمفكرين والصوفية الذين شككوا في قيمة الكلام كمنهج يقود إلى اليقين.

فالغزالي يرى أن الطريق إلى حقائق المعرفة عن هذا الوجه (أي علم الكلام) مسدود. ويقول الغزالي أيضاً: فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً منه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة^(١)

والنورسي يعلن صراحة تفضيله لمسلك القرآن الكريم في الوصول إلى معرفة الله تعالى وذلك لعجز المسالك الأخرى في الوصول إلى اليقين وإلى معرفة الله، فيقول:-

"إن العروج إلى عرش الكمالات وهو معرفة الله - جل جلاله - أربعة:-

أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن فكر البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل.

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام.

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان^(٢)

(١) أ.د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، ص ٢٤٠-٢٤١، استانبول، نقلاً من أبو حامد الغزالي: أحياء علوم الدين، ج ١، ص ٨٦-٢٠-٢١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ١٢٣، ١٢٢.

فالنورسي يرى من خلال هذا النص " أن معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي •

في حين أن تلك المعرفة متى كانت علي نهج القرآن الكريم المعجز تصبح معرفة تامة وتكسب الاطمئنان الكامل في القلب.

ثم إن معرفة الله التي استقاها الرازي من علم الكلام كما تبدوا ناقصة في نظر ابن عربي

فإن المعرفة الناتجة من طريق التصوف أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة •

ذلك لأن ابن عربي يقول: " لا موجود إلا هو " لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله سبحانه وتعالى حتى وصل به الأمر إلى إنكار وجود الكائنات •

أما الآخرون فلأجل الحصول على الحضور القلبي أيضاً قالوا: " لا مشهود إلا هو " وألقوا ستار النسيان المطلق علي الكائنات، وأتخذوا طوراً عجيباً •

بينما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم •

فضلاً عن أنها لا تقضي على الكائنات بالعدم، ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعيشية، وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية وتفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية.

ولقد شبهنا - في كلمات أخرى من رسائل النور لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم - ذلك المنهج الأقوم، والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال هو: -

أنه لأجل الحصول على الماء، هناك من يأتي به بواسطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبال، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا ويفجرونه أينما كانوا •

فالأول سير في طريق وعر وطويل، والماء معرض فيه للانقطاع والشحة •

بينما الذين هم أهل لحفر الآبار فإنهم يجدون الماء أينما حلوا دونها صعوبة ومتاعب •
فعلماء الكلام يقطعون سلسلة الأسباب بإثبات استحالة الدور والتسلسل في نهاية العالم
ومن بعده يثبتون وجود واجد الوجود ^(١)

والنورسي يعرض من خلال هذا المثال، أن نهج علماء الكلام في الوصول إلى معرفة الله
طويلة وصعبة، ويشبهها "بمن يحفرون عيوناً في سفوح جبال بعيدة ليأتوا منها بالماء إلى
أقصى العالم بواسطة أنابيب - أي سلسلة الأسباب - ثم يقطعون تلك السلسلة هناك،
فيثبتون وجود واجب الوجود، والمعرفة الإلهية التي هي كالماء الباعث للحياة •

أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم، فإنه يجد الماء في كل مكان، ويحفره أينما كان، فكل آية
من آياته كعصا موسى تستطيع أن تفجر الماء أينما ضربت، وتستقرئ كل شيء القاعدة
الآية:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

أي أن آيات القرآن تفتح من كل شيء نافذة تدل على الصانع الجليل وتعرفه ^(٢)
وهنا نجد النورسي يتفق مع ما ذهب إليه "ابن رشد" ^(٣) في نقده للمتكلمين عامه
وللأشاعرة على وجه الخصوص في استدلالاتهم على وجود الله تعالى •
حيث سلكوا في ذلك طرقاً صعبة وغير يقينية، فيقول:

"فقد تبين لك من هذا كله - أي بعد استعراضه لأدلة الأشاعرة - أن الطرق المشهورة

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٤٢٥، وانظر الكلمات، ص ٥١٤-٥١٥، وانظر إحسان قاسم
الصالح: النورسي حياته وآثاره، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٣) ابن رشد هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ولد عام (٥٢٠هـ - ١١٢٦م) وتوفي عام
(٥٩٥هـ - ١١٩٨م) جمع بين الفلسفة وشرح كتب أرسطو، إنه يعد فيلسوفاً وطبيباً وفقهياً، من
مؤلفاته "بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه" و "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من
الاتصال" و "مناهج الأدلة في عقائد الملة" و "وتهافت التهافت" انظر أ.د/ عاطف العراقي:
الفلسفة العربية مدخل نقدي، ص ٢٠٨-٢٣٢، لوندجان، القاهرة، ٢٠٠٣.

للاشاعرة في السلوك إلى معرفة الله سبحانه ليست طرقاً نظرية يقينية، ولا طرقاً شرعية يقينية، وذلك ظاهر لمن تأمل أجناس الأدلة المنبهة في الكتاب العزيز على هذا المعنى أعني بمعرفة وجود الصانع، وذلك أن الطرق الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت وصفين:-

أحدهما: أن تكون يقينية •

والثانية: أن تكون بسيطة غير مركبة، أعني قليلة المقدمات، فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأولى ^(١)

ويرى النورسي أيضاً أن المنهج الكلامي (وخاصة المعتزلة) يتجه إلى عقل الإنسان دون جوانبه (اللطائف) الأخرى، مما يجعل المعرفة الناشئة عنه معرفة: باردة لا تضبط السلوك ولا تدفع إلى العمل •

"لأن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء •

كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم فإن كل لطيفة من لطائف الجسم - كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها - تأخذ منها وتمصها بحسب درجاتها فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذائها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة وتظل تلك اللطيفة شرومة منها" ^(٢)

"وبهذا فالنورسي يقدم قراءة نقدية "لنهج المعرفة" كما هو في علم الكلام جاعلاً من موقف ابن عربي من ذلك العلم ونقده لأحد أعلامه (الرازي) مدخلاً له •

(١) ماجد فخري: ابن رشد فليسوف قرطبة: ص ٢٠٣-٢٠٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، وانظر

أيضاً: محمد يبصار، الوجود والخلود في فلسفة ابن رشد: ص ٦٠-٦١، دار الكتاب اللبناني، بيروت،

ط ٣، ١٩٧٣، وانظر توافق ابن رشد مع ما قاله النورسي في الكلمات، ص ٢٦٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٤٢٦.

غير أنه يعود على ابن عربي نفسه بالنقد، باعتباره نموذجاً للمتصوفة الذين يمثلون طريقاً آخر مختلفاً تمام الاختلاف عن طريق المتكلمين.

فهو يأخذ على طريق المتكلمين إفتقارهما إلى أمرين أساسيين:

- التمام المعرفي •

- والطمأنينة القلبية •

ويأخذ على طريقة المتصوفة غلوها في إنكار أو نسيان الكائنات سعياً منها إلى تحقيق الحضور القلبي الدائم، وهذه الطريقة، وإن حققت قدراً كبيراً من الأساس الثاني الذي هو طمأنينة القلب، إلا أنها فرطت في قدر كبير من تمام المعرفة.

والنورسي في نقده لهاتين الطريقتين يستند إلى الوحي مسلطاً ضوءه الوهاج عليهما •

ويؤكد على أن طريق المنهج القرآني هو الأقوم للمعرفة " (١)

(١) أ.د. مصطفى فوزيل، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص ٣٣٠-

موقف النورسي من المعرفة الفلسفية.

"أما بالنسبة للفلسفة، فالذي لا شك فيه أن النورسي تجاوز الأخذ بالمعرفة الفلسفية (المادية) التي لا تتوافق مع المعرفة القرآنية •

ذلك لأنه ينطلق من ضرورة تأصيل المعرفة النيرة وأسلمتها والتي منبعها القرآن ذلك الكتاب المصون، الذي يلزم من الأمة أن تضعه في صدارة منطلقاتها المعرفية.

وهذه الرؤية النورية التأصيلية، هي رؤية تنادي على نحو أو بآخر، بالصفاء المعرفي أو بأصالة الروح والأسس التي ينبغي أن تتوفر للمعرفة الإسلامية •

إذ أن حقيقة الواقع المعرفي الذي ظل الغرب يعمل على ترسيخه انطلاقاً من مبدأ أنجلة المعرفة وطبع المعارف مهما شذت بطابع الكتاب المقدس، مما نشأ ما يسمى بالمركزية المعرفية من هذا الاعتداد الغربي، الذي أعماه عن قول الحقيقة، وزاعماً أن معرفته ومنطقه هما الإطار الذي على كل ثقافة تريد أن تنطلق إلى العقلنة والوثوب الفكري أن تأخذه به.

من هنا ندرك أن النورسي يريد برؤيته الخلوص المعرفي الإسلامي، لأنه واثق من أن القرآن الكريم يتوفر لديه كافة المنطلقات المنتجة لبناء معرفة إسلامية تتجنب الوقوع في المادية والسببية الملأى بالترهات والأساطير، التي ترحزح الإيمان بالخالق من نفوس العباد وحلبة الكون"^(١).

وهذا ما جعل النورسي يدعوا إلى "مشاهدة ثروة القرآن الطائلة وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العالم والحكمة... وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل"^(٢)

ولعل دعوة النورسي إلى البحث والنظر في ثروة القرآن المعرفية، تتلاقى مع دعوة المفكرين المعاصرين ومنهم الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق، الذي بين دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي

(١) أ.د/ عشراي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٣٢١، ٣٢٢ بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١٥١.

كما بين أن توجيهات القرآن لا تقتصر على مجال الحياة الروحية للإنسان فقط، بل إنه يحتوي على كثير من الإشارات والتوجيهات الإلهية الهادية للإنسان في شتى مجالات المعرفة الإنسانية، وفي تنظيم أمور الحياة من جميع جوانبها الروحية والمادية، العقلية والتجريبية الفردية والاجتماعية، وبصفة عامة ينطوي على تنظيم كل أمور الحياة الدينية والدنيوية •

ومن هنا يستطيع العقل الفلسفي التأمل في آيات القرآن الكريم أن يستخرج منها أصول المعرفة بالحقائق الكبرى المتمثلة في الله والكون والقيم •

كما يستطيع أن يستخرج منها أيضاً أصول تنظيم الحياة العملية وتشكيل الأخلاق •

وبالإضافة إلى ذلك يجد في القرآن الكريم منهجاً قوياً لتحصيل المعرفة الحسية والمعرفة العقلية وإذا استطاع العقل الفلسفي المسلم أن يصل إلى تحقيق هذه الغاية فإن في وسعه حيثئذ أن يتحدث عن فلسفة الإسلام أو الفلسفة القرآنية •

ولكن اتجاه التفلسف الإسلامي في مراحلها المختلفة لم يستطع - في الأعم الأغلب - أن يستخرج لنا فلسفة الإسلام على هذا النحو، وإنما أخرج لنا فلسفة تقوم على أصول بشرية، وحاول التوفيق بينها وبين الإسلام، وقد كان ذلك هو الطابع العام والغالب على الفلسفة الإسلامية •

ويذكر أستاذنا: أن من بين الاستثناءات الجديرة بالذكر في هذا الصدد، تلك المحاولة الرائدة والعميقة التي قام بها الدكتور "محمد عبد الله دراز" في دراسته القيمة: "دستور الأخلاق في القرآن" والتي انصبت على نظرية قرآنية متكاملة في الأخلاق ^(١)

وهذا يبين أن القرآن ثروة معرفية واسعة، وهو الطريق الآمن للوصول إلى أي معرفة يقينية ومنها معرفة الله •

أما الطرق الأخرى فإنها غير مأمونة العواقب، وقد تؤدي إلى الانزلاق في هاوية الكفر والضلال، وهذا ما حذر منه النورسي بقوله:

(١) د/ راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٦، ٧، المؤيد، السعودية، ١٩٩٢م بتصرف •

"إن عدم معرفة الله سبحانه وتعالى هو الذي أوقع متعلمي الفلسفة وملة الكفر والنفس الأمارة في الضلالة الرهيبة" (١)

وعلى هذا فالنورسي يرفض ما يسمى بالمعرفة المتولدة من "الفلسفة" الضالة المضلة، تلك التي أصبحت وسيلة للتردي والإيقاع في مهاوي الإلحاد والسقوط في المستنقع الأسن للفكر الوضعي الطبيعي، تلك الفلسفة التي تسوق الإنسان إلى الحتف بما تورثه إياه من دواعي الغفلة والضلالة، حيث أنها تعارض بخوارقها- التي هي كالسحر- الحقائق المعجزة للقرآن الكريم (٢)

ومن ذلك يتبين أن النورسي بمناهضته المعرفة الفلسفية المادية والوضعية الغربية إنما يدعوا صراحة إلى بناء نوع من المركزية المعرفية الإسلامية، القائمة على التزاوج العقلي والروحي، البريء من تفسخات الطرح الغربي.

ولكن رغم هذا فإن النورسي لم يبلغ دور الفلسفة الحديثة في مضمار البناء المعرفي والحضاري ولا يسد باب التلاحق الفكري والتفاعل المعرفي، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها (٣)

لذا نلاحظ أن النورسي يستثنى الجوانب البناءة التي تمكنت الفلسفة الحديثة من أن تدشنها لاسيما تلك التي تتماس مع الحقيقة العلمية والعقلية، وهو ما يجعلها تتلاقى مع تحفيزات القرآن العظيم، التي تنوه بالعقل وتدعوه إلى توخي الموضوعية ونشدان الحقيقة.

لهذا يقول النورسي: "إن الفلسفة القديمة خيرها قليل وخرافات كثيرة، حتى نهى السلف - إلى حد ما - عنها، حيث الأذهان كانت غير مستعدة، والأفكار مقيدة بالتقليد، والجهل مستوليا على العوام."

بينما الفلسفة الحاضرة خيرها كثير - من جهة المادة - بالنسبة للقديمة، وكذبها وباطلها

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٦٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ٢٨٦.

(٣) د. أ. د. عشراي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٢٥٢، وأنظر ص ٣٢٢ بتصرف.

قليل والأفكار حرة في الوقت الحاضر، والمعرفة مهيمنة على الجميع •

وفي الحقيقة لا بد أن يكون لكل زمان حكمه... وهو ما يجعل من أذى الفلسفة بهذه المواصفات محدوداً، لأنها تشتمل على حقائق تخدم الإنسان، وذلك هدف من أهداف الإسلام^(١)

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٠، وأنظر د/ عشراقي سليمان: النورسي في رحاب القرآن ص ٢٥٢، ٢٥٣.

المبحث الثالث

ويشمل على الموضوعات التالية:-

أقسام المعرفة.

مراتب المعرفة.

نوافذ لمعرفة الله.

خصائص المعرفة.

المعرفة تكليف وتشريف.

أصل المعرفة.

غايات المعرفة.

إمكان المعرفة.

أقسام المعرفة

يقسم النورسي العلوم من جهة تأثيرها بتلاحق الأفكار وتراكم المعلومات إلى قسمين:-

١- قسم من العلوم هو كرفع الصخر، بحاجة إلى التعاون وتلاحق الأفكار، وأغلب هذا القسم هو من العلوم المادية.

٢- وقسم تكمله دفعي أو شبيه الدفعي، وأغلب هذا القسم هو من المعنويات ومن العلوم الإلهية ولكن على الرغم من أن تلاحق الأفكار لا يغير ماهية هذا القسم الثاني ولا يكمله ولا يزيده إلا أنه يفيض وضوحاً وظهوراً وقوة في مسالك براهينه ^(١)

ويقسمه من جهة أخرى إلى نظري وضروري وكسبي، ويشير في هذا المقام إشارة لطيفة إلى أهمية النظر في التصور الإسلامي، وأنه مقصود في التكليف فيقول:

"إن إظهار الخوارق ما هو إلا تصديق النبوة، والتصديق يحصل على أكمل وجه بمعجزاته الظاهرة، فإذا زادت عن الحاجة ... فإما أن تكون عبثاً ... أو منافية لسر التكليف الذي هو امتحان في الأمور النظرية دون البدييات أو ما يقرب منها، حيث يتساوى الأدنى مع الأعلى، أو تكون مخالفة للتسليم والانقياد لجريان الحكمة" ^(٢)

ثم يبين النورسي في معرض حديثه عن سبب تدني علوم المدارس الدينية إلى تقسيم العلوم التحصيلية إلى: ١- العلوم الآلية ٢- العلوم العالية.

فيقول: "إن العلوم الآلية ^(٣) لما أدرجت في عداد العلوم المقصودة، أصاب الإهمال العلوم العالية إذ سيطر على الأذهان حل العبارة العربية التي لبأسها (لفظها) في حكم معناها وظل العلم الذي هو أصل القصد تبعياً.

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٣٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٦٥، ٦٦، وأنظر، مصطفى فوضيل، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص ٣٢٢.

(٣) العلوم الآلية: كالنحو والصرف والمنطق وأمثالها من العلوم التي تكون وسيلة لفهم العلوم العالية التي هي كالتفسير والحديث والفقه وأمثالها من العلوم، أنظر صيقل الإسلام، ص ٦٧.

زد على ذلك أن الكتب التي أصبحت في سلسلة التحصيل العلمي رسمية، وعباراتها متداولة إلى حد ما، هذه الكتب حصرت الأوقات والأفكار في نفسها ولم تفسح المجال للخروج منها^(١)

وفي "الشعاعات" يقسم النورسي المعرفة من حيث الوصول والحصول عليها إلى:

١- معرفة غيائية ٢- ومعرفة حضورية.

فيقول: "إن السائح الذي أتى إلى الدنيا ويبحث عن خالقها صعد في ثمان عشرة مرتبة وبلغ عرش الحقيقة بمعراج إلهاني، فأرتقى من مقام "المعرفة الغيائية" إلى مقام الحضور والمخاطبة (أي المعرفة الحضورية) فخاطب هذا الولوع المشتاق روحه قائلاً:-

إن الحمد والثناء الغيابيين من بدء سورة الفاتحة إلى كلمة "إياك" يورثان طمأنينة تصعد بالإنسان وترقبه إلى مرتبة المخاطبة بـ "إياك" .

فعلينا إذاً أن نسأل من نبحت عنه منه مباشرة، وندع البحث الغيائي عنه، إذ ينبغي السؤال عن الشمس - التي تتور كل شيء - من الشمس نفسها، لأن الذي يظهر كل شيء ويوضحه لا شك أنه يظهر نفسه أكثر من كل شيء .

لذا فكما يمكننا أن نرى الشمس ونتعرف عليها من أشعتها وضياؤها، يمكننا أيضاً أن نسعى - حسب قابليتنا- في التعرف على خالقنا سبحانه وتعالى من تجليات أسمائه الحسنی ومن أنوار صفاته الجليلة^(٢)

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٦٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٨٦.

مراتب المعرفة

يشير النورسي في "الباب الرابع من اللمعة التاسعة والعشرون" إلى ثلاث وستين مرتبة من مراتب معرفة الله وتوحيده سبحانه، متخذاً ورداً مهماً ومشهوراً لسيدنا الخضر عليه السلام كمبدأ وأساس لهذا الورد •

علماً أن كل مرتبة من المراتب الثلاث والستين عبارة عن جملتين:

فكلمة "لا إله إلا الله" تثبت الوجدانية •

كما أن الأسماء التي تبدأ بـ "هو" تثبت وجود واجب الوجود •

فعندنا تشير الجملة الأولى إلى الوجدانية، يخطر بالبال سؤال مقدر، كأن يقال:

ومن هو الواحد ؟ وكيف نعرفه ؟

فيكون جوابه: هو الرحمن الرحيم... مثلاً.

أي أن آثار الشفقة والرحمة التي تملأ الكون كله تعرف ذلك الرحمن وتدل عليه.

وهكذا قس على الباقي " (١)

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٤٨٩، ٥٠٠.

نوافذ لمعرفة الله

يقرر النورسي أن "المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم فضلاً عن أنها لا تقضي على الكائنات بالعدم، ولا تسجنها سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعبثية، وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية، وتفتح في كل شيء " نافذة إلى المعرفة الإلهية " (١)

ثم يبين النورسي أن الله سبحانه وتعالى " وضع في ثنايا (الآفاق والأنفس) قوانينه الكلية ودساتيره العامة من الإحسانات الخاصة والإغاثات الخاصة والتجليات الخاصة ما يمكن كل شيء أن يتوجه إليه سبحانه في كل حين، ويسأله كل ما يحتاجه •

وفتح من كل منزل، ومن كل طبقة، ومن كل عالم، ومن كل طائفة، ومن كل فرد، ومن كل شيء نوافذ تتطلع إليه وتظهره •

أي تبين وجوده الحق ووحدانيته، فأودع في كل قلب هاتف يتصل به.

ويؤكد النورسي أن النوافذ التي تجول بالإنسان في آفاق الإيمان، وتصل به إلى مدارج الرقي في المعرفة الإلهية لا تعد ولا تحصى ولا طاقة له بالبحث في جميع هذه النوافذ •

لهذا فإنه اكتفى بالإشارة إلى ثلاث وثلاثين نافذة منها، تألفت من لمعات القرآن الكريم فأصبحت " الكلمة الثالثة والثلاثين " أو " المكتوب الثالث والثلاثين ".

ثم يبين النورسي في نهاية " الكلمة الثالثة والثلاثون " أن الغاية من هذه النوافذ أن تكون زاداً لمن لا إيمان له، فيدعوه إلى حظيرة الإيمان.

- ويشد من إيمان الذي يجد في إيمانه ضعفاً فيقويه.

- ويجعل الإيمان القوى التقليدي إيماناً تحقيقاً راسخاً.

- ويوسع من آفاق الإيمان التحقيقي الراسخ.

- ويهب لمن كان إيمانه واسعاً مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي الأساس في الكمال.

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٤٢٥.

الحقيقي، ويفتح أمامه مشاهد أكثر نورانية وأشد سطوعاً" (١)

خصائص المعرفة

من هذه الخصائص:-

١- توجهها إلى الله تعالى، الذي له الكمال المطلق التام، وله الأسماء الحسنی، "إن لكل كمال وعلم وتقدم وفن حقيقة سامية تستند إلى اسم من أسماء الله الحسنی، وفي هذا الاستناد يجد كل منها كماله، ويصبح حقيقة فعلاً، وإلا فهو ظل باهت ناقص مبتور مشوش" (٢)

٢- هذه الأسماء تتضمن صفات معرفة بالخالق جل جلاله .

وكما أنها تعرف بالذات العلية، فهي تعرف بتجلياتها في كل ما سواه من الموجودات إذ هي داخلة ضمن أفعاله جل وعلا .

"بل إن كل ما ناله الإنسان - من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات - من الكمال العلمي والتقدم الفني، ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات، تعبر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} .

وهذا التعبير ينطوي على رمز رفيع ودقيق، وهو: أن لكل كمال ولكل علم ولكل تقدم ولكل فن - أياً كان - حقيقة سامية عالية، وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنی وباستنادها إلى ذلك الاسم - الذي له حجب مختلفة وتجليات متنوعة ودوائر ظهور متباينة - يجد ذلك الاسم والفن والكمال والصنعة وكمالها ويصبح حقيقة فعلاً، وإلا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش." (٣)

٣- توجهها إلى الكمال الإنساني بانسجامها مع خصائص الذات العارفة - وذلك بمراعاة حاجاتها التابعة لتكوينها البديع .

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمة الثالثة والثلاثون، الكلمات، ص ٧٨٢-٨٣٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٢٩٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: مرشد أهل القرآن، ترجمة إحسان قاسم، ص ٥٧، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

فالإنسان "جُبِلَ على محبة غير متناهية لخالق الكون، وذلك لأن الفطرة البشرية تكن حباً للجمال، ووداً بالكمال، واقتناناً بالإحسان، وتزايد المحبة بحسب درجات الجمال والكمال والإحسان حتى تصل إلى أقصى درجات العشق ومتناه.".

نعم... إن في القلب الصغير لهذا الإنسان يستقر عشق بكبر الكون، إذ أن نقل محتويات ما في مكتبة كبيرة من كتب وخزنها في القوة الحافظة للقلب - وهي بحجم حبة عدس - يبين أن قلب الإنسان يمكنه أن يضم الكون، ويستطيع أن يحمل حباً بقدر الكون.

فما دامت الفطرة البشرية تملك استعداداً غير محدود للمحبة تجاه الإحسان والجمال والكمال وأن لخالق الكون جمالاً مقدساً غير متناه ثبوته متحقق بدهاء بآثاره الظاهرة في الكائنات.. وأن له كمالاً قدسياً لا حدود له ثبوته متحقق ضرورة بنقوش صنعته الظاهرة في الموجودات.. وأن له إحساناً غير محدود وثابت الوجود يقيناً، يمكن لمسه ومشاهدته ضمن إنعامه وآلائه الظاهرة في جميع أنواع الأحياء..

فلا بد أنه سبحانه يطلب محبة لا حد لها من الإنسان الذي هو أجمع ذوي الشعور صفة وأكثرهم حاجة، وأعظمهم تفكيراً، وأشدّهم شوقاً إليه " (١)

وكما أن "الإنسان عالم صغير، كذلك العالم إنسان كبير".

فهذا الإنسان يمثل خلاصة الإنسان الكبير وفهرسته، فالنماذج المصغرة في الإنسان لا بد أن أصولها الكبيرة المعظمة موجودة في الإنسان الأكبر بالضرورة.

فمثلاً: إن وجود القوة الحافظة في الإنسان دليل قطعي على وجود اللوح المحفوظ في العالم " (٢)

ويصطلح النورسي على هذا الاتساع في الإنسان بعبارة "جامعية الإنسان" التي لأجلها يُشعر (الحي القيوم) الإنسان بجميع أسمائه الحسنى، ويعرفه بجميع أنواع إحسانه،

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٩٠، ٩١.

(٢) بديع الزمان النورسي: المرجع السابق، ص ١٢٧.

ويذوقه طعوم آلائه، فجعله سبحانه مركز الكون ومحوراً له، بل سخر الكون له، فمد أمامه سفرة عظيمة عظم الكون لتتلذذ أنواع معداته المادية والمعنوية^(١)

إن "جامعية استعداد الإنسان" تجربنا بأن البشر ثمرة شجرة الخلقة، فيكون أكمل وأبعد فوجهه الشفاف متوجه إلى الظلمة وفضاء العدم الذي هو باطن الدنيا •

وما في جامعية الاستعداد من قابلية العبادة تجربنا بأن الإنسان ما خلق هكذا ليكون منكوس الرأس يخلد إلى القاني •

بل قابلية العبادة لصرف وجهه الشفاف من الظلمة إلى النور، ومن فضاء العدم إلى الوجود ومن المنتهى إلى المبتدأ، ومن القاني إلى الباقي، ومن الخلق إلى الحق •

كان العبادة حلقة اتصال بين المنتهى والمبدأ في دائرة الخلقة، فتشهد الفطرة بهذا اللسان على وجوب وجود من خلق الخلق ليُعرف، وخلق الجن والإنسان ليُعبَد^(٢)

ويدقق النورسي في تحليل المكونات المعنوية للإنسان، فيفصلها ويوضحها إلى ما أسماه اللطائف •

وهو يرى "أن هناك لطائف كثيرة مندرجة في ماهية الإنسان الجامعة، وفي استعداده للحياة إلا أن عشراً منها قد اشتهرت، حتى أن الحكماء والعلماء الظاهريين أيضاً قد جعلوا تلك اللطائف العشر أساساً لحكمتهم في صورة أخرى •

حيث قالوا إن الخواص الخمس الظاهرة نوافذ أو نماذج لخواص خمس باطنه، حتى أن ما اشتهر لدى العوام والخواص من لطائف الإنسان العشر منسجمة مع اللطائف العشر لدى أرباب الطرق الصوفية •

فمثلاً: الوجدان والأعصاب والحس والعقل والهوى وألقوه الشهوية والقوة الغضبية، إذا ما ألحقت هذه اللطائف بالقلب والروح والسر تظهر اللطائف العشر في صورة أخرى وهناك لطائف أخرى كثيرة غير هذه اللطائف، أمثال السائقة والسائقة، الحس قبل الوقوع

(١) بديع الزمان النورسي: المرجع السابق، ص ٥٩٣، ٥٩٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: المثوي العربي، ص ١٢١.

"وقد أودع البارئ سبحانه في ماهيتك أجهزة ولطائف معنوية دقيقة، إذا ابتلع بعضها الدنيا فلا يشبع، ويضيق بعضها ذرعاً عن ذرة ولا يتحمل شعيرة، كالعين التي لا تتحمل شعرة، والرأس الذي يتحمل أثقالاً هائلة •

فتلك اللطيفة لا تتحمل ثقلًا كالشعرة الدقيقة، أي لا تتحمل حالة هينة جداً نشأت من الضلالة ونجمت من الغفلة، بل قد تنطفئ جذوتها وتموت •

فاحذر وخفف الوطء وخف من الغرق، فيفرق معك ألطف لطائفك التي تبتلع الدنيا في أكلة أو كلمة، أو لمعة، أو إشارة، أو بقلة، أو قبلة •

فهناك أشياء صغيرة جداً تتمكن - في جهة - أن تستوعب ما هو ضخم جداً •

فانظر إن شئت كيف تغرق السماء بنجومها في مرآة صغيرة، وكيف كتب الحق سبحانه في خردلة حافظتك أكثر ما في صحيفة أعمالك وأغلب ما في صحائف أعمارك •

فسبحانه من قادر قيوم " (١)

ونستطيع أن نستخلص مفهوم الاكتمال في المعرفة والاطمئنان القلبي الناتج عنه من قوله: "إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضوا من الأعضاء كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم، إذا ما دخل معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم - كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها - تأخذ منها وتمصها بحسب درجاتها فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها " (٢)

فكمال المعرفة يكمن في مدى تليبيتها لحاجات الإنسان الإيمانية بحسب مكونات بنيته

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١٧١-٢٠٧.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٧.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٤٢٤-٤٢٦.

الداخلية فيكون تعريف الكمال هنا بالمآل .

أي بما تؤول إليه كل معلومة وكل جزئية معرفية في علاقتها بمواقعها التي تستقبلها وتقع فيها.

ونحن نقرأ وراء سطور النورسي أنه ما دام الجانب الغائب في بنية الإنسان متسع الأرجاء فسيح الأفاق، عميق الأغوار، متداخل العلاقات، فإنه لا يتصور منهج يستطيع ارتيادها جميعاً إلا إذا كان ذا طبيعة خاصة، وهي الإحاطة .

وهذه الخصوصية مستحيلة في الإنسان، فإذا كانت الروح - وهي لطيفة واحدة من اللطائف التي ذكرها النورسي - كما قال تعالى: - {وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ^(١) فكيف بسائر اللطائف الأخرى ؟

إن الإحاطة شرط ضروري في هذا المقام، وإن الروح من أمر الله جل وعلا، وإن القرآن من أمر الله أيضاً، {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} ^(٢)

وقد شبه النورسي القرآن بالماء مراراً، فلا شك أن الماء الدفاق النافع، والروح المخترق الدافع يتسرب إلى جزء من أجزاء الإنسان ليله ويرويه بالحياة .

وهذا يدلنا إلى أن القرآن الكريم بطبيعته الربانية هو المؤهل الوحيد لتغذية اللطائف الإنسانية فهو غذاء مكتمل بتناوله، حيث تأخذ كل لطيفة حظها منه.

ومن وجوه الكمال هنا أن ما يميز الإنسان عن الحيوان " شمول علاقته بالماضي والمستقبل وكلية إدراكه بالأنفس والأفاق .. وكشفه لترتب العلل الظاهرية في إنشاء الأشياء الظاهرية فأعظم وظيفته وأقدمها، وأتم جهازاته وألزمها التسبيح والتحميد بالجهاز المخلوق لها.

ويسر مشاهدته لتسيحات المخلوقات وشهادته عليها بثنى على صانع الأشياء بقراءة

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٨٥)

(٢) سورة الشورى: آية رقم (٥٢)

أسمائه المكتوبة بالترتيب والترتب في حكمة صنع الأشياء " (١)

٤- النزوع إلى الأبد

" ألا ترى أن فيك لطيفة لا ترضى إلا بالأبد والأبدي، ولا تتوجه إلا إلى ذلك الخالد ولا تنتزل لما سواه ؟ حتى إذا أعطيت لها الدنيا كلها فلا تطمأن تلك الحاجة الفطرية..

تلك هي سلطان لطائفك ومشاعرك، فأطع سلطان لطائفك المطيع لأمر فاطره الحكيم جل جلاله، وأنج بنفسك.. " (٢)

إن الإنسان " هو أعظم معجزات القدرة الصمدانية، بل هو أعجوبة الخلق لما انطوى فيه العالم الأكبر، ولما تشهد جميع أجهزته بأنه مخلوق للسير قدماً نحو الأبدية والخلود " (٣)

" أجل إن الإنسان مخلوق للأبد، فلإنما تحصل له اللذة الحقيقية في الأمور الأبدية كالعرفة الإلهية والمحبة والكمال والعلم وأمثالها " (٤)

(١) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص ٣٣٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللغات، ص ١٧٤.

(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٢٧٣.

(٤) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص ١٩٦.

المعرفة تكليف وتشريف

يتجلى مما سبق أن المعرفة تأخذ أبعاداً ضخمة جداً، وقيمة عظيمة في حياة الإنسان وتصبح بمنظار الحكمة في حقه تكليفاً، وبمنظار الرحمة في صالحه تشريفاً .

"نعم إن هذا الإنسان.. الذي أنيط به - من بين جميع المخلوقات - مهام عظيمة، وزود باستعدادات فطرية كاملة، وإن لم يعرف ربه بالإيمان بعد أن عرف سبحانه نفسه إليه بمخلوقاته البديعة المنتظمة.

وإن لم ينل محبته بالتقرب إليه بالعبادة بعد أن تحبب إليه سبحانه بنفسه، وعرفها إليه بما خلق له من الثمار المتنوعة الجميلة الدالة على رحمته الواسعة.

وإن لم يقم بالتوقير والإجلال اللائقين به بالشكر والحمد بعد أن أظهر سبحانه محبته له ورحمته عليه بنعمه الكثيرة.

نعم * * إن لم يعرف هذا الإنسان ربه هكذا، فكيف يترك سدى دون جزاء ؟ ودون أن يعد له ذو العزة والجلال دار العقاب ؟ وهل من الممكن أن لا يمنح ذلك الرب الرحيم دار ثوابه وسعادة أبدية لأولئك المؤمنين الذين قابلوا تعريف ذاته سبحانه لهم بمعرفتهم إياه بالإيمان، ومحبته لهم بالحب، والتحبب له بالعبادة، ورحمته لهم بالإجلال والتوقير له بالشكر

" (١)

أصل المعرفة

"إن القرآن الكريم يتميز في أول قضية يعرضها فيتحدث عن الوجود والمعرفة ويجعلها دائرين حول مفهوم الخالقية والمخلوقية"^(١)

ومن هنا يأتي التعليم والمعرفة إثر الخلق، يقول النورسي في شرحه لقول الله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} "^(٢) أي صورة بفطرة تضمنت مبادئ أنواع الكائنات، وخلقها باستعدادات (معرفية) وزرع فيه أنواع المعالي، وجهازه بالحواس العشر، وبوجدان تتمثل فيه الموجودات، وأعدّه بهذه الثلاث لتعلم حقائق الأشياء بأنواعها، ثم علمه الأسماء كلها"^(٣)

(١) د/ راجع عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٤٢٩، ط ١، المعهد العالمي

للفكر الإسلامي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. بتصرف.

(٢) سورة البقرة: آية رقم (٣١).

(٣) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص ٢٤١.

غايات المعرفة

يحرص النورسي على تجلية المعرفة بمعناها الإيماني الذي يورده القرآن الكريم ويخاطب به الإنسان باعتباره مخلوقاً مكرماً متميزاً باستعدادات هائلة للتلقي والاستيعاب، ومن هنا تتحد غاية المعرفة العميقة والنهائية في تحقيق العبودية لله تعالى.

هذه الغاية هي التي تعطى للإنسان معنى في الوجود ممتداً في الماضي البعيد مع قصة آدم، ومتواصلاً مع المستقبل بيقينه القوى في الآخرة •

يقول النورسي وهو يتأمل في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ^(١) " يفهم من إصرار هذه الآية الجليلة أن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه هي: معرفة خالق الكون سبحانه والإيمان به والقيام بعبادته •

كما أن وظيفة فطرته وفريضة ذمته هي معرفة الله والإيمان به، والتصديق بوجوده ويوحدياته إذعاناً و يقيناً...

نعم، هذا الإنسان الضعيف الذي ينشد فطرة الحياة الدائمة الخالدة والعيش الأبدي الرغيد والذي له آمال بلا حدود وآلام بلا نهاية، لا بد أن تكون جميع الأشياء والكمالات هابطة بالنسبة إليه، بل ليس لأكثرها أية قيمة تذكر ما عدا الإيمان بالله ومعرفة، وما عدا الوسائل التي تأخذ بيده إلى ذلك الإيمان الذي هو أس الأساس لتلك الحياة الأبدية ومفتاحها " ^(٢)

والعبادة بهذه الدلالة الشمولية تتحقق بمختلف أنشطة الإنسان وحركاته وسكناته • وهذا الحد لا يترك مجالاً لتسرب شبهة إهمال العلوم وأمر المعاش ومصالح العالم، إذ كل ذلك يأخذ موقعه النافع في نسق العبادة.

" فالمعرفة في فكر النورسي تعتبر ثمرة من ثمرات الإيمان بالله سبحانه وتعالى ونتيجة من أبر نتائج الاستقامة على الدين •

(١) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٣٥.

ولكن مع هذا لا يقف عند حد معرفة الله باعتبارها غاية الغايات كما وقف غيره من الفلاسفة والمتكلمين .

ولكن يقول على ما يترتب على معرفة الله من نتائج في حياة الإنسان والإنسانية، باعتبارها قضية أساسية في حياة الإنسان لها آثارها في سلوكه وتوجهاته وأعماله وتفكيره وتقدمه ورقبه واستخلافه في الأرض " ^(١)

(١) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: بحوث في فكر النورسي، ص ٧٠-٧٥، باختصار، مركز الكتاب للنشر، ط ١، القاهرة ١٩٩٩ م. بتصرف.

إمكان المعرفة

الإمكان: عدم اقتضاء الشيء الوجود والعدم، بحيث يكون في حالة بين الامتناع والوجود.

والبحث في إمكان المعرفة يعني: الإجابة عن هذا السؤال: هل في وسع الإنسان أن يعرف شيئاً؟

ومسألة إمكان المعرفة أولى مسائل البحث في موضوع المعرفة، إذ البحث في المسائل الأخرى - مصادر وطرق... إلخ - يقوم على حكم قد انتهى إليه الباحث - قبلاً - بأن المعرفة ممكنة للإنسان، وهذا الحكم يتمثل في مذهب يقابله مذهب المنكر لإمكانها.

فقد انقسم الناس حيال هذه المسألة فريقين:-

فريق أول يقول: بإمكان المعرفة، وهم الاعتقاديون أو أتباع مذهب التيقن.

وفريق آخر: ينكر قيام معرفة إنسانية، وهم أتباع مذهب الشك.

وينقسم الشك المتعلق بالمعرفة إلى قسمين:

شك مطلق: وهو ما يطلق عليه الشك الحقيقي الذي يبدأ صاحبه شاكاً وينتهي كذلك.

شك منهجي: وهو الذي يبدأ صاحبه شاكاً ليتتهي إلى اليقين، فهو وسيلة يهدف منها الوصول إلى المعرفة الصادقة^(١)

" ولقد أظهر الإسلام موقفه من مسألة إمكان المعرفة، ويتجلى إيضاح هذا الموقف فيما يلي:

أولاً: وجود الأشياء:-

حيث خالف الإسلام مخالفة صريحة مذهب الشك في وجود الأشياء الذي يعتبر أن ما

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٥٩، ٦٣ بتصرف، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة المؤيد، السعودية، ص ١، ١٩٩٢م.

يدركه الناس أوهاماً لا حقيقة لها.

فقد قرر الإسلام أن للأشياء وجوداً عينياً مستقلاً عما في الذهن، أدركه الإنسان أم عجز عن إدراكه .

ومن ثم: فإدراك الإنسان للأشياء لا يقتضي وجودها، وعدمه لا يقتضي عدمها.

وتنقسم الأشياء بالنسبة للإنسان إلى نوعين:

١ - موجودات عالم الطبيعة: التي يسميها القرآن: "عالم الشهادة"

٢ - وموجودات عالم ما وراء الطبيعة: والقرآن يسميها: "عالم الغيب"

وهذه المسألة واضحة في الإسلام، بحيث لم يمر فيها بعد ذلك أحد من المسلمين حتى الذين تأثروا بالتراث الفلسفي اليوناني وتبنوا كثيراً من نظراته في الوجود، لم تكن هذه المسألة موضع بحث لديهم ^(١)

ويقرر النورسي بوجود الأشياء من خلال تأكيده على: "أن ما أودع في الإنسان من غيوب إنما هي رموز ترمز وتوهم إلى غيوب ما وراء هذا العالم، وتؤكد حقيقة وجودها، وأن ما نتخيله من حدود وسدود بين عالمي الغيب والشهادة إنما هو وهم من جملة أوهامنا الكثيرة فالحقيقة أنها متجاوران ومتلازمان ومندرج أحدهما بالآخر، ومتفاعلان فيما بينهما في هدوء وخفاء غير منظور.

ويرى النورسي أن الإنسان يمثل العالم الأصغر الذي ينطوي على ما ينطوي عليه العالم الأكبر من المناقضات والأضداد، ففي وجوده عدم وفي عدمه وجود، وفي شهوده غيب وفي غيبه شهود، فالإنسان - في الحقيقة - غيب في هيكل شهودي ؟ فروح غيب، وضميره غيب فالكشف عن الصلة القوية بين غيوب الإنسان وغيوب ما وراء هذا العالم يشكل جانباً مهماً من جوانب المعرفة الإيانية.

ويرى النورسي كذلك أنه من أجل إيجاد الأشياء، فعلى الإنسان أن يستجمع كل

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٦٧.

طاقاته وأن يستنفر قوى "العقل، والحس والشعور والخيال والحدس" لتفتح له الطريق إليها، ولتكون رديفته في الفهم عنها وإدراك مراميها ومقاصدها •

فما من لطيفة من لطائف "النفس الإنسانية" إلا وقد أودعها الله تعالى في الإنسان لإعانتة في الكشف عن حقائق عالمي الغيب والشهادة. ^(١) ثانياً: - معرفة الأشياء:

"ومنهج الإسلام في هذا: أن بإمكان الإنسان معرفة كثير من الأشياء والموجودات إذا ما سلك السبل المؤدية إلى المعرفة •

وقد جاءت آيات القرآن الكثيرة تحث الإنسان على التفكير والتدبر والنظر من أجل معرفة الأشياء المبثوثة في الكون من حوله حتى يستفيد منها في حياته المادية ويستشعر عظمة خالقها ومدبرها ومجريها على مستنها الثابتة.

وهذان الهدفان لا يمكن أن يتحقق شيء منهما إلا من خلال معرفة هذه الأشياء، ولو لم تكن المعرفة ممكنة لكان الأمر بالنظر والتدبر والتفكير لغواً باطلاً •، والله منزّه عن ذلك.

ولهذا كانت معرفة الموجودات - في الإسلام - ممكنة متهيئة، وعليه تواطأ العلماء ^(٢) " ومنهم النورسي الذي بث في رسائله تأكيداً وتقديره على منهج الإسلام بإمكان معرفة الأشياء والموجودات، وتذكيره ببحث القرآن على التدبر والتفكير والنظر وبغيرها من السبل المؤدية إلى المعرفة " ^(٣)

ثالثاً: - الشك المنهجي - في ضوء الإسلام -:

" هذا الشك هو نقطة الانطلاق التي يبدأ الإنسان منها سيره العلمي، حيث يشك فيها بكل شيء مكوناً علومه بناءً على اقتناع ذاتي بصحتها •

(١) أديب الدباغ: مطارحات المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص ١٠ / ١٤، مركز الكتاب للنشر، القاهرة،

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٦٨ - ٦٩.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ٥٦١ - ٥٦٢، وانظر صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.

وقد يكون هذا الشك صورياً مصطنعاً من قبل الشاك، كشك "ديكارت" •

وقد يكون واقعاً على المرء اضطراراً كشك "أبي حامد الغزالي" ^(١)

وإذا تحدثنا عن إمكان المعرفة عند النورسي بشيء من التوضيح، فأننا نرى أن النورسي ينظر إلى الإنسان من خلال نور القرآن الكريم باعتباره خليفة الله في الأرض، والمكلف بتعمير هذا الكون، وهو المخلوق المكرم المزود بطاقات هائلة ولطائف كثيرة أخصها العقل والقلب •

ورأينا كيف صارت المعرفة بالنسبة للإنسان مكلفاً بها لا مجرد ممكنة فقط •

ومن هنا يشن النورس هجومه على من أنكروا المعارف قائلاً:

"إن هؤلاء الفلاسفة الذين لم يتسن لهم النظر إلى الموجودات بنور القرآن المبين عندما نظروا إليها بمنظار "الطبيعة" و "الأسباب" توصلوا إلى أن وجود هذه الموجودات وأفراض تشكلها بعوامل "الطبيعة" و "الأسباب" مسألة تطرح مشكلات عويصة بدرجة الإمتناع على غرار ما ذكرناه في بيان الاحتمالات ومحالاتها •

فانقسم هؤلاء الفلاسفة إذاء هذه العقبة الكأداء إلى قسمين:-

١- قسم منهم صاروا سوفسطائيين وعافوا العقل الذي هو خاصة الإنسان ، فسقطوا إلى درك أدنى من الحيوانات، إذا وصل بهم أمر فكرهم إلى إنكار الوجود عموماً، بل حتى إنكار وجودهم وذلك عندما رأوا أن هذا الإنكار أجدي على العقل وأيسر عليه وأسلم من تصور "الطبيعة" و "الأسباب" مالكة لزمام الإيجاد، فأنكروا وجود أنفسهم ووجود الموجودات جميعاً، فسقطوا في هاوية الجهل المطلق.

٢- أما القسم الثاني: فقد نظروا إلى الموجودات أنها لو سلم إيجادها إلى "الأسباب" و "الطبيعة" كما هو شأن أهل الضلالة، فإن إيجاد شيء صغير جداً كالبعوضة والبذرة فيه من المشكلات ما لا يحمد، ويقتضي قدرة عظيمة لا يبلغ مداها العقل، فوجدوا أنفسهم مضطرين إلى إنكار "الإيجاد" نفسه •

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٦٩-٧٠. بتصرف.

فقالوا: " لا يتحدث شيء من العدم " ورأوا أن إعدام الشيء محال أيضاً فقرروا أنه " لا يفني الموجود " وتخللوا جملة من الأوضاع الاعتبارية سارية ما بين تحليل وتركيب وتفريق وتجميع ناتجة عن حركات الذرات وسيل المصادفات " (١)

" فتأمل في هؤلاء الذين يظنون أنفسهم في ذروة العقل، قد سقطوا في حضيض من الحماقة والجهل، واعلم من هذا كيف تضع الضلالة هذا الإنسان المكرم حين يلغى إيمانه موضع سخرية وازدراء من كل أحد.

ويدورنا نسأل هؤلاء: ترى كيف يمكن استبعاد إيجاد شيء ما من القدرة المطلقة التي توجد على سطح الأرض في كل سنة أربعمائة ألف من الأحياء؟ والتي خلقت السماوات والأرض في ستة أيام؟

والتي تنشيء في كل ربيع تحت بصر الإنسان وسمعة على سطح الأرض كوناً حياً من النبات والحيوان هو أظهر إتيقناً وأجلى حكمة من الكون كله في ستة أسابيع؟

كيف يستبعد منها أن تخلق الموجودات العلمية - التي تعينت خططها ومقاديرها ضمن دائرة العلم الأزلي - فتخلقها بسهولة مطلقة، سهولة إظهار الكتابة غير المنظورة بإمرار مادة كيمياوية عليها •

فاستبعاد إضفاء الوجود الخارجي على الموجودات العلمية - والتي هي معدومات خارجياً - من تلك القدرة الأزلية، ثم إنكار الإيجاد نفسه، هو حماقة وجهالة أشد من حماقة السوفسطائيين المعروفين وجهالتهم " (٢)

" إن مما ورط الظاهريين، بل السبب الأول الذي دفعهم إلى القلق والتردد، هو: إلتباس الإمكانيات بالوقوعات والخلط بينهما، فيقولون مثلاً: إذا كان الشيء هكذا فهو ممكن في القدرة الإلهية، وهو أدل على عظمته تعالى في عقولنا، فهو إذاً واقع.

هيهات أيها المسكين: أين عقولكم من أن تكون مهندسة الكون؟

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٢٩٧.

فأنتم عاجزون عن أن تحيطوا بالحسن الكلي بعقلكم الجزئي هذا، لو كان أنف بطول ذراع من ذهب ربما يستحسنه من حصر فيه النظر.

ثم إن الذي حيرهم هو توهمهم منافية الإمكان الذاتي لليقين العلمي، فيتقربون إلى مذهب "اللاأدرية"^(١) بترددهم وتشككهم في العلوم العادية اليقينية •

بل لا ينجحون، إذ يلزم مسلكهم هذا أن يتشكك الإنسان في أمور بديهية كوجود بحيرة "وان" وجبل "سبحان" لأن هذا ممكن في مسلكهم، أي تنقلب بحيرة "وان" إلى دبس، وينقلب جبل "سبحان" إلى عسل مغطى بالسكر..

أو أنها يذهبان إلى بحر العدم، كقسم من أصدقائنا الذين لم يرضوا بكروية الأرض فسافروا فرلت أقدامهم، بمعنى: يلزم عدم التصديق بالحال السابقة للبحيرة والجبل.

أيها المحرومون من المنطق: أين أنتم ؟ تأملوا: فقد تقرر في علم المنطق: أن الوهميات التي في المحسوسات من البدييات، فإن أنكرتم هذه البداهية، فليس لي إلا أن أقدم لكم التعازي بدل النصائح بموت العلوم العادية، بينما السفسطة قد بعثت لديكم.

البلاء الرابع: الذي شوش أهل الظاهر هو: - إلتباس الإمكان الوهمي بالإمكان العقلي

علماً: أن الإمكان الوهمي متولد من عرق التقليد لا من أساس، وهو الذي يولد السفسطة وحيث لا دليل له يفتح في البدييات طريقاً إلى الشك والاحتمال والظن •

هذا الإمكان الوهمي غالباً ما ينتج من عدم المحاكمة العقلية، ومن ضعف عصبي قلبي ومن مرض عصبي عقلي، ومن عدم تصور الموضوع والمحمول؛

بينما الإمكان العقلي هو تردد في أمر لا يظفر بديل قطعي على وجوده وعدمه ما لم يكن واجباً ولا ممتنعاً، فإن كان الإمكان ناشئاً عن دليل فهو مقبول، وإلا فلا إعتبار له.

ومن أحكام الإمكان الوهمي هذا: أن قسماً من المتشككين يقولون ربما لا يكون الأمر

(١) اللاأدرية: هم الذين ارتابوا، هل ما يدركون حقيقة أم هي أوهام، أنظر د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٦٨.

على ما أظهره البرهان، لأن العقل لا يستطيع أن يدرك كل شيء وعقلنا يعطى لنا هذا الاحتمال. نعم.. لا.. بل الذي يعطيكم هذا الاحتمال هو شككم ووهمكم، لأن العقل من شأنه المضي على برهان، صحيح أن العقل لا يتمكن أن يدرك ويوازن كل شيء *.

ولكن هذه الماديات ولا سيما ما لا يفلت من البصر مهما كان صغيراً فإنه يزنه ويدركه، ولو لم يتمكن من دركه نكون في تلك المسألة غير مكلفين، كالأطفال ^(١) ".

ولإزاء هذا الإفراط في التردد والتشكك يقف النورسي عند مسألة الوسائيس التي تُعرض للمؤمن ويضعها في سياقها الموضوعي الطبيعي *.

فيبين أنها لا تضر ما دام الأساس مبنياً على اليقين، فيقول: "إن أخطر دسائس الشيطان هو أنه يلبس على بعض ذوي القلوب الصافية والحس المرهف: تخيل الكفر بتصديق الكفر ويظهر لهم تصور الضلالة تصديقاً للضلالة نفسها، ويجلب إلى خيالهم خواطر قبيحة في حق الأشخاص والأمور المنزهة المقدسة، ويوهمهم بالشك في بعض يقينيات الإيمان بجعل "الإمكان الذاتي" في صورة "الإمكان العقلي" *.

وعندئذ يظن هذا المسكين المرهف الحس أنه قد هوى في الكفر والضلالة، ويتوهم أنه قد زال يقينه الإيماني، فيقع في اليأس والقنوط، ويكون يأسه هذا أضحوكة للشيطان الذي ينفث في يأسه القاتل، ويضرب دوماً على وتره الحساس، وينفخ في إلباساته ويشيرها، فأما أن يخل بأعصابه وعقله، أو يدفعه إلى هاوية الضلالة ^(٢) ".

وقد بحثنا في بعض الرسائل مدى تفاهة هذه الهمزات والوسائيس، وكيف أنها لا سند لها ولا أساس، أما هنا فيسجملها بما يأتي:-

كما أن صورة الحية في المرأة لا تلدغ، وانعكاس النار فيها لا يحرق، وظل النجس فيها لا ينجس، كذلك ما ينعكس على مرآة الخيال أو الفكر من صور الكفر والشرك وظلال الضلالة وخيالات الكلمات النابية والشتم لا تفسد العقيدة واليقين، ولا يتغير الإيمان، ولا

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٨٨-٨٩. وانظر *الكلمات، ص ٨٦، ٩٩، ٣٠٨، ٦٢٩، ٨٢٦، ٧٢٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١١٥.

تثلم أدب التوقير والاحترام، ذلك لأنه من القواعد المقررة:

"تخيل الشتم ليس شتماً، وتخيل الكفر ليس كفراً، وتصور الضلالة ليس ضلالاً".

أما مسألة الشك في الإيمان، فإن الاحتمالات الناشئة من "الإمكان الذاتي" لا ينافي اليقين ولا يخل به، إذ من القواعد المقررة في علم أصول الدين:

"أن الإمكان الذاتي لا ينفي اليقين العلمي"

فمثلاً: - نحن على يقين من أن بحيرة "بارلا" مملوءة بالماء ومستقرة في مكانها، إلا أنه يمكن أن تخسف في هذه اللحظة •

فهذا إمكان ذاتي واحتمال، وهو من الممكنات •

ولكن لأنه لم ينشأ من أمانة أو دليل فلا يكون "إمكاناً ذهنياً" حتى يوجب الشك، لأن القاعدة المقررة في علم أصول الدين أنه: "لا عبرة للاحتمال غير الناشئ عن دليل" •

بمعنى: لا يكون الاحتمال الذاتي الذي لم ينشأ عن أمانة ذهنياً، فلا أهمية له كي يوجب الشك، فمثل هذه الإمكانيات والاحتمالات الذاتية يظن المسكين المبطل أنه قد فقد يقينه بالحقائق الإيمانية، فيخطر بباله مثلاً خواطر كثيرة من الإمكان الذاتي من جهة بشرية الرسول ﷺ، ولا شك أنها لا تخل بيقينه وجزمه الإيماني، ولكن ظنه أن هذا يضر، هو الذي يسبب له الضرر •

وأحياناً أخرى تُلقى لمة الشيطان - التي هي على القلب - كلاماً لا يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، فيظن صاحبه أن قلبه هو الذي فسد فصدر عنه هذا الكلام فيضطرب ويتألم •

والحال أن اضطرابه وخوفه وعدم رضاه دليل على أن تلك الكلمات لم تكن صادرة من قلبه، وإنما هي من اللمة الشيطانية، أو أن الشيطان يخيلها إليه ويذكره بها •

وهكذا فإن حصن المؤمن الحصين من الدسائس الشيطانية المتقدمة هي المحكمات القرآنية والحقائق الإيمانية المرسومة حدودها بدساتير العلماء المحققين والأصفياء الصالحين •

أما الدسائس الأخيرة، فأنها تُرد بالاستعاذة بالله سبحانه وتعالى وبإيهاها، لأن من طبيعة الوسواس أنها تكبر وتتضخم كلما زاد الاهتمام بها، فالسنة المحمدية للمؤمن هي البلمس الشافي لمثل هذه الجراحات الروحية " (١)

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يسير بتوافق تام مع ما قرره الإسلام من إمكان المعرفة، وتأكيد على وجود الأشياء والموجودات وقبوله للشك المنهجى - في ضوء الإسلام - الذي يبدأ به الإنسان للوصول إلى المعرفة الحقة.

ومن خلال ما سبق يتضح نقد النورسي للذين ينكرون المعارف فسقطوا في حضيض الحماقة والجهل والضلالة وأساؤا إلى إنسانية الإنسان هذا المكرم .

هذا بالإضافة إلى رفضه إلى الشك المطلق الذي يؤدي بالإنسان إلى اليأس والقنوط مما يجعله

مسخاً لا حراك له في الحياة، وهذا منافٍ لمن جعله الله خليفة الأرض وسخر له الكون ليعمر ويتج ويعرف ما يصلح له الحياة الدنيا والآخرة ويسوقه للخير.

ومن أجل تخليص هذا الإنسان المكرم من هذا الشك الذي يعوق سعيه للمعرفة فإن النورسي يدعو للاستعاذة من وسوس الشيطان، التي يوهمهم بالشك فيها أنها يقينيات، وأن يتحصن بالقرآن والسنة المحمدية لأنها البلمس الشافي.

ومجمل القول فإن المعرفة أثر من آثار الله الخالق العليم منحها للإنسان، إذ أن الله ما أعطي هذا الإنسان من ميزة معرفية على سائر المخلوقات، وما جعل له من الأدوات والوسائل والاستعدادات المعرفية، وما فتح له من ميادين النظر والتفكير والعلم، إلا لأن المعرفة ممكنة .

كما أن الوجود الكوني والمعرفة أثران منسجمان متناسقان من آثار خالقية الله سبحانه في نظر القرآن الموحى به من عند الله .

وبما أن المعرفة والوجود أثران للذات الخالقة، فهذا دليل يثبت إمكانية المعرفة للإنسان

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١١٦-١١٧. وانظر في نفس المرجع، ص ٩٩.

بل وهي نوع من الوجود وصفة للإنسان •

وسبحان من قال: { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير }^(١)

(١) سورة الملك: آية رقم (١٤).

المبحث الرابع

ويشمل على الموضوعات التالية:-

مصادر المعرفة وطرقها.

المصدر لغة.

الوحي.

الوحي شرعاً.

صور الوحي.

الوحي مصدراً للمعرفة.

طبيعة الوحي في الإسلام.

القرآن الكريم " مصدراً ومنهجاً ".

بيان بأعجاز القرآن.

طريقة المنهج القرآني في المعرفة.

النبوة.

الكون.

النورسي يجمع بين الكون والعقل والقلب.

العقل.

العقل لغة.

مفهوم العقل.

العقل مصدراً للمعرفة.

التلازم والتوازن بين العقل والقلب.

الإلهام.

مصادر المعرفة وطرقها

المصدر لغة:

المصدر في لغة العرب: مفرد، جمعه مصادر، وهو: موضع الصدور، ومنه: مصادر الأفعال، لأن المصادر المجردة هي أصل المشتقات.^(١)

فالمصدر إذن: أصل ينشأ عنه غيره، ومن هنا جاء وصف ما تنبثق عنه المعرفة وتتولد منه المصادر، لأنها هي الأصل، والمعرفة الناشئة عنها.

وقد اختلف الباحثون في الفلسفة في تسمية تلك الأصول التي تنشأ عنها المعرفة - مع اتفاقهم على موضوع البحث: -

- فبعضهم: يسميها "مصادر" وهذا هو الغالب.
- وبعضهم: يسميها "وسائل"
- وبعضهم: يسميها "أصولاً" و "منابع"^(٢)

(١) د: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٩٤، نقلاً من

الصحاح مادة (صدر) والقاموس المحيط، فصل الصاد، وباب الراء.

(٢) د: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٩٤، ٩٥، نقلاً من،

معجم مجمع اللغة العربية الفلسفي، ص ٢٠٣، والمعجم الفلسفي ٢ / ص ٤٧٨، ومبادئ الفلسفة، ص ١٩١.

أولاً: الوحي

الوحي:- يدور المعنى اللغوي للوحي على ثلاثة أصول هي:-

١- الإعلام ٢- والسرعة ٣- والخفاء.

قال ابن منظور:- " الوحي: الإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقىته إلى غيرك " (١)

وفي تهذيب اللغة للأزهري:-

" أصل الوحي في اللغة كلها: إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً •

وفي الصحاح للجوهري:- " الوحي على فعيل: السريع •

ويقال: الوحي، الوحي، يعني: البدار، وتوح يا هذا، يعني: أسرع •

وتوحاه توحيه، أي: عجله •

وقال ابن الأثير: " ألوحا ألوحا، أي: السرعة، ويمد ويقصر يقال: توحيت توحياً إذا أسرعت " (٢)

الوحي شرعاً:-

أما الوحي في الشرع، فمن أجمع ما قيل في تعريف الوحي ما نقل عن " الإمام الزهري " في تفسيره لقول الله تعالى { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ } (٣).

(١) د: عبد الله بن محمد القرني: المعرفة في الإسلام مصادرهما ومجالاتهما، ص ٣١، دار عالم الفوائد، السعودية ١٤١٩ هـ نقلاً من، لسان العرب لابن منظور، ص ١٥، ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) د: عبد الله بن محمد القرني: المعرفة في الإسلام، ص ٣١، ٣٢، نقلاً من، تهذيب اللغة للأزهري، (٥) / ٢٩٦) والصحاح، للجوهري (٦، ٢٥١٦)، غريب الحديث، لابن الأثير (٥، ١٦٣)

(٣) سورة الشورى: آية رقم (٥١)

حيث يقول: "نزلت هذه الآية تعم من أوحى الله إليه من البشر، فكلام الله الذي كلم به موسى من وراء حجاب •

والوحي ما يوحى الله إلى نبي من أنبيائه عليهم السلام ليثبت الله عز وجل ما أراد من وحيه في قلب النبي ويكتبه، وهو كلام الله ووحيه •

ومنه ما يكون بين الله وبين رسله، ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد ولا يأمرهم بكتابته، ولكنهم يتحدثون به الناس ويبلغونهم إياه •

ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء ممن اصطفاه من ملائكته، فيكلمون به أنبيائه من الناس

ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء من الملائكة فيوحيه وحيًا في قلب من يشاء من رسله" (١)

وقد شمل هذا التعريف كلام الله تعالى لأنبيائه من وراء حجاب، وكلام الله تعالى الذي يرسل به ملائكته، وشمل الإلهام الذي هو إلقاء الوحي في قلب النبي، وهو الذي يقول عنه الأمام الزهري لا يكتبونه ولا يأمرهم بكتابته ولكنهم يبينونه للناس •

وهو يريد بذلك تفريق بين الوحي الذي يكون لفظه ومعناه من الله تعالى، وهو القرآن فهذا هو الذي يأمر النبي بكتابته •

وأما الوحي الذي لا يكون لفظه من الله فهو الحديث، وهي وإن كانت من الشرع الموحى به إلا أن لفظها من النبي ﷺ ويمكن أن تروى بالمعنى " (٢) ورغم أن هذا التعريف شامل وجامع إلى حد كبير، وهو المقصود لبحثنا، إلا أنه من قبيل التأصيل والاكتمال للحديث عن الوحي، نرى من الأهمية مرد نماذج من صور الوحي التي ذكرها القرآن.

صور الوحي: -

(١) د: عبد الله بن محمد القرني: المعرفة في الإسلام، ص ٣٢، نقلًا من، مجموع فتاوى ابن تيمية

(١٢، ٣٩٧) وأنظر: التمهيد، لأبن عبد البر (٢٢، ١١٤)

(٢) د: عبد الله بن محمود القرني: المعرفة في الإسلام، ص ٣٢. بتصرف.

" يتمثل الوحي في صور عديدة، وقد ذكر القرآن نماذج منها، فمن ذلك:-

- ١- الإلهام الغريزي للحيوان: كما في قوله تعالى: { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }^(١)
- ٢- الإلهام الفطري للإنسان: كما في قوله تعالى: { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }^(٢)

- ٣- الإشارة السريعة بأمر ما: مثل ما جاء في قصة سيدنا زكريا - عليه وعلى نبينا السلام - حين أشار إلى قومه بالتسبيح، قال تعالى: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا }^(٣)

- ٤- الوسوسة الشيطانية: كما في قول الله جل وعلا: { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَاسِقٌ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }^(٤) بحيث يلقي الشيطان في روع وليه المعاند للحق الباطل، وينفث في قلبه ما يضل به ويصد عن الحق .

ولهذا لما قيل لابن عباس رضي الله عنه: إن المختار الثقفي يزعم أنه يوحى إليه، قال: صدق، فلما نفر السامعون، بين ووضح لهم أنه يوحى إليه، لكن من قبل الشيطان لا من الله " ^(٥)

(١) سورة النحل: آية رقم (٦٧)

(٢) سورة القصص: آية رقم (٧)

(٣) سورة مريم: آية رقم (١١)

(٤) سورة الأنعام: آية رقم (١٢١)

(٥) د: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٩٩، ١٠٠.

الوحي مصدراً للمعرفة

يتلاقى النورسي مع معظم " العلماء المسلمين في اتفاقهم على أن أهم مصادر المعرفة التي ينالها الإنسان: هو " الوحي " الذي يكشف للإنسان حقائق ما كان ليصل إليها بدونه. " (١)

ويقرر النورسي أن مصدر الوحي (متمثلاً في القرآن، والنبوة) هو من أصح الوثائق والمصادر في العالم على الإطلاق، إذ " أن حقيقة الوحي الإلهي مهيمنة كل حين - بظواهر في غاية الوضوح - على أرجاء عالم الغيب كافة، فتأتي الشهادة لوجوده وتوحيده سبحانه من لدن علام الغيوب، وهي شهادة الوحي والإلهام، وهي أقوى بكثير من شهادة الكائنات والمخلوقات إذ لا يدع سبحانه تعريف ذاته ولا دلائل وجوده ووحدانيته محصوراً في شهادة مخلوقاته وحدها بل يتكلم كلاماً أزلياً يليق بذاته، فلا حدود ولا نهاية لكلام من هو حاضر وناظر بقدرته وعلمه في كل مكان، ومثلما يعرفه معنى كلامه فإن تكلمه أيضاً يعرفه بصفته.

نعم إن تواتر مائة ألف من الأنبياء عليهم السلام واتفاقهم في جميع إخباراتهم الصادرة من الوحي الألهي، ودلائل ومعجزات الكتب المقدسة والصحف السماوية التي هي الوحي المشهود وثماره، والتي صدقتها الأكثرية المطلقة للبشرية واقتدت بها واهتدت بهديها... يدل بدهاءة على أن الوحي حقيقة ثابتة لأمرأ فيها " (٢)

طبيعة الوحي في الإسلام: - من المؤكد أنه لا وجه للقاء بين طبيعة الوحي (كمصدر للمعرفة) وبين طبيعة منهج آخر، أو المقارنة بينه وبين مذهب آخر، إذ اللقاء أو المقارنة تقتضي التساوي ولا أساس للتساوي بين طبيعة منهج رباني وطبيعة منهج بشري * ولعل هذا يؤكد أن لطبيعة الوحي خصائص تميزه عن مصادر المعرفة البشرية، وتنفي عنه تصوراً خاطئاً في طبيعته، ويتجلى ذلك ما يلي: -
أولاً: - حصوله بالاصطفاء لا الكسب:

(١) د: عبد الرحمن الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٩٥، ٩٦. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٦٢.

حيث أن الوحي منحة إلهية، يختار المولى سبحانه بحكمته من يشاء من عباده ليكون موضع تلقيها ومما يؤكد هذا قول الله سبحانه { الله أعلم حيث يجعل رسالته }^(١) فالنبوة التي هي مؤهل تلقى الوحي، نتيجة لإصطفاء خاص من الله تعالى لأحد خلقه على الناس كما قال الله لموسى عليه السلام { إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي }^(٢)

فهذا الاصطفاء الإلهي المحض، "يطل التصور الخاطئ لبعض الفلاسفة والصوفية بإدخالهم الوحي في قائمة المواهب البشرية المكتسبة، أو التي تنال بالاجتهاد والاستغراق والتسامي بالروح أو بإطالة المعاناة الفكرية والعبقرية الذاتية في جوهر الأشياء مما يتفجر عنده الحدس بالحقيقة، وتنزل معه المعرفة المباشرة"^(٣).

ثانياً: - عدم خضوعه لرغبة الرسول في تنزله: فالوحي يتم تبعاً لمشيئة الله وحده، فليس خاضعاً في توقيت نزوله أو تحديد مكانه لرغبة سيدنا محمد ﷺ، ولا ملئياً لمطالبه فور الحاجة إليه، إذ لم يكن للرسول محمد ﷺ اختيار فيما ينزل أو ينقطع.

بل أن الوحي كان ينزل عليه في لحظات تدل حاله فيها أنه لم يكن ينتظر نزول الوحي فيها ويؤكد هذا ما ذكره "سيدنا أنس ﷺ أنه ﷺ أغفى إغفاء ثم استيقظ ورفع رأسه مبتسماً، حيث أنزلت عليه سورة الكوثر"^(٤).

وهذه الخاصية في طبيعة الوحي تميزه عن مناهج استمداد المعرفة من المصادر الأخرى والتي تتم من خلال تهيؤ واستعداد وبذل جهد ذاتي من أجل تحصيل المعرفة، مثل ما يبذله الفيلسوف من تأمل ونظر وبحث، أو مثل ما يبذله الصوفي من تجريد واستغراق روحي.

ثالثاً: - اليقينية المطلقة لما قدمه من علم:

إن الوحي بصفته جزءاً من علم الله سبحانه وتعالى، له ما لهذه الصفة من كونها مطلقة

(١) سورة الأنعام: آية رقم (١٢٤)

(٢) سورة الأعراف: آية رقم (١٤٤)

(٣) أنظر: د/ عبد الرحمن الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ١٤٥، وانظر/ عرفان عبد الحميد: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ص ٨٩. بتصرف.

(٤) أنظر: صحيح مسلم (١/ ٣٠٠) ومسنَد الإمام أحمد (٣/ ١٠٢).

غير محدودة ويقينية وحقائقه قطعية وثابتة، فعلم الله يتخطى حدود الزمان والمكان، ولا يعجزه ميدان من ميادين المعرفة، خلافاً للعلم البشرى المقيد بحدود الزمان والمكان، والناشئ من ملكات الإنسان المحدودة •

رابعاً:- تنزهه عن التأثير بالزمان والمكان:

لم يكن للزمن الذي نزل فيه الوحي على سيدنا محمد ﷺ ولا للبيئة التي عاش فيها أثر في تشكيل المعرفة التي جاء بها، فلم يكن للأعراف والتقاليد والطقوس التي تحيط بسيدنا محمد ﷺ أي تسلل إلى تلك الحقائق التي قدمها •

ولكن الشأن لدى الفلاسفة والباحثين يختلف، إذ أنهم لا يستطيعون التخلص نهائياً عما نشأوا عليه وانطبع في أذهانهم، بل أن البيئة التي يعيشون فيها تشكل جزءاً من عقولهم التي بها يفكرون وهذا يؤكد أن الوحي علم عملي نزل للواقع مؤثراً فيه وإن لم يتأثر به •

خامساً:- انتفاء الحلول في تلقي الوحي:

الوحي: علم وأمر يتم بين ذاتين:

- ذات ملقية: وهي ذات الله سبحانه، أو ذات جبريل متلقية من الله •

- وذات متلقية: وهي ذات الرسول ﷺ •

وذات الله سبحانه وتعالى وذات جبريل عليه السلام مبايتان لذات الرسول ﷺ •

فليس الوحي حلولاً لذات الله في ذات رسول الله، أو اتحاد بينهما • " (١)

(١) د/ عبد الرحمن الزبيدي: مصادر المعرفة، ص ١٤٥، ١٦١. بتصرف.

القرآن الكريم "مصدراً ومنهجاً"

يرى النورسي أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للحقيقة المطلقة، بل أن أفضل معراج للوصول و"العروج إلى عرش الكمالات، وهو معرفة الله - جل جلاله - هو المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، وهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبنى الإنسان، ونحن قد اخترنا هذا الطريق^(١)"

"فإن قلت ما هو القرآن ؟

قيل لك هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم •

وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض •

وكذا هو مفتاح لحقائق الشئون المضمرة في صدور الحادثات •

وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة •

وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والإلتفاتات الأبدية الرحمانية •

وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي •

وكذا هو خريطة للعالم الأخروي •

وكذا هو قول شارح وتفسير واضح وبرهان قاطع وترجمان نشاط لذات الله وصفاته

وأسمائه وشئونه •

وكذا هو مرب للعالم الإنساني، وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية

وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خلق البشر له •

وكذا هو للإنسان، كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزّل فقدس مشحون بالكتب والرسائل، حتى انه قد ابرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالة لاثقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة الرسائل.

واعلم أن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر، من أذكى الأذكىاء إلى أغبى الأغبياء، ومن اتقى

الأتقياء إلى أشقى الأشقياء، ومن الموقنين المجددين الفارغين من الدنيا إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا^(١)

وبالتأمل في هذا التعريف نجد أن النورسي سلط الضوء وركز فيه على بيان المعارف العظيمة والكثيرة التي يقدمها القرآن •

هذا بالإضافة إلى إعلام السائل عن القرآن وتعريفه بأن القرآن خطاب ودواء ومصدر معرفي لجميع طبقات البشر.

بيان بإعجاز القرآن:-

يؤكد النورسي على اعتبار القرآن أهم مصادر المعرفة، لما يستند إليه هذا المصدر إلى طبيعته الربانية، وهذه العلاقة ثابتة بدلائل الإعجاز التي تجعل من معانيه حقائق قيمة ترتقي بالإنسان في درجات اليقين.

ويتجلى إعجاز القرآن عند النورسي من سبعة منابع كلية، ويتركب من سبعة عناصر، هي:-

المنبع الأول: سلاسة لسانه من فصاحة اللفظ....، وبلاغة المعنى، وبداعة المفاهيم،

(١) بديع الزمان النورسي: المثوي العربي، ص ٦٩، ٧٠.

وبراعة المضامين....

العنصر الثاني:- هو الإخبار السماوي وهو عن الغيوب في الحقائق الغيبية الكونية والأسرار الغيبية للحقائق الإلهية، فمن أمور الغيب المنظورة في الماضي، ومن الأحوال المستترة الباقية في المستقبل تنشأ خزينة علم الغيوب، فهو لسان عالم الغيوب، يتكلم مع عالم الشهادة في أركان (الإيمان) بينها بالرموز، والهدف هو نوع الإنسان.

المنبع الثالث:- امتلاك القرآن لجامعة خارقة من خمس جهات: في لفظه، في معناه، وأحكامه وعلمه، ومقاصده.

العنصر الرابع:- إفاضته التوراتية حسب درجة فهم كل عصر، ومستوى أدب كل طبقة من طبقاته، وعلى وفق استعدادها ورتب قابليتها *

فبابه مفتوح لكل عصر ولكل طبقة من طبقاته، حتى كأن ذلك الكلام الرحمانى ينزل في كل مكان وفي كل حين، فكلمنا شباب الزمان شب القرآن وتوضحت رموزه، فذلك الخطيب الإلهي يعزق ستار الطبيعة وحجاب الأسباب، فيفجر نور التوحيد من كل آية، وفي كل وقت، رافعاً راية الشهادة، شهادة التوحيد على الغيب.

إن علو خطابه يلفت نظر الإنسان ويدعوه إلى التدبر، إذ هو لسان الغيب، يتكلم بالذات مع عالم الشهادة.

وخلاصة هذا العنصر: أن شبائته الخارقة شاملة محيطية، وأنسيته جعلته محبوب الإنس والجان، وذلك بالتزلات الإلهية إلى عقول البشر لتأنيس الأذهان، والمتنوعة بتنوع أساليب التنزيل.^(١)

المنبع الخامس:- مجيئ نقوله وأخباره في أسلوب بديع غزير المعاني، فينقل النقاط الأساس للأخبار الصادقة كالشاهد الحاضر لها، ينقل هكذا لينبه بها البشر.

العنصر السادس:- أنه مؤسس دين الإسلام ومتضمنة، ولن تجد مثل الإسلام إن تحررت الزمان والمكان لا في الماضي ولا في المستقبل.. إنه جبل الله المتين.

المنبع السابع:- إن الأنوار الستة المفاضة من هذه المنابع الستة، يمتزج بعضها مع بعض

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ١٨٣-١٨٥. يتصرف.

فيصدر شعاع حسن فائق، ويتولد حدس ذهني *
وهو الوسيلة النورانية، والذي يصدر عن هذا: ذوق يدرك به الإعجاز لساناً يعجز عن
التعبير عنه، والفكر يقصر دونه.
بل هو بذاته برهان للإعجاز..
إن القرآن لا يقاس بسائر الكتب ولا يشبهها قطعاً.
وفي القرآن خاصية لا توجد في أي كلام آخر: لأنك إذا سمعت كلاماً من أحد فأنك
تري صاحب الكلام خلفه أوفيه، فالأسلوب مرآة الإنسان.^(١)

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ١٨٥، ١٨٦.

طريقة المنهج القرآني في المعرفة

من خلال استقراء رسائل النور نجد أن النورسي يحدد سمات المنهج القرآني في المعرفة كما نجد تميز النورسي باعتماده القرآن منهجاً متكاملًا في المعرفة، ولا يتعامل معه باعتباره مصدرًا فحسب، ويمكن رسم بعض عناصر هذا المنهج في النقاط التالية:-

١- مراعاة مستويات المخاطبين - بفتح الطاء - وتنوع أساليب الخطاب وذلك لإشاعة المعرفة وإيصال الخطاب إلى كل طبقة من طبقات البشرية يناسبهم*.

ولهذا يقول النورسي: "لما كان القرآن الكريم خطاباً أزلياً للجن والإنس بطبقاتهم كافة فكل طبقة من البشر تأخذ إذاً حصتها من كل آية من القرآن الكريم، وكل آية أيضاً تشيع أفهام كل طبقة من الناس، أي لكل آية معانٍ متنوعة متعددة ضمناً وإشارة.

نعم، إن سعة خطاب القرآن وشمول معانيه وإشاراته ومراعاته درجات أفهام الطبقات العامة ومداركهم، من أدنى العوام إلى أخص الخواص تبين أن كل آية لها وجهة نظر متوجه إلى كل طبقة من الناس"^(١)

ولعل هذا ما جعل النورسي ينوع الأساليب في الرسائل، فتارة يخاطب العقل، وتارة يخاطب الوجدان، وتارة يستعمل المعارف اللغوية، وأخرى يستعمل العلوم التجريبية.... وفي موضع آخر يقول النورسي: "إن آياته مع كمال الانسجام وغاية الارتباط وتتمام الاتصال بينها يتيسر لكل أحد أن يأخذ من السور المتعددة، آيات متفرقة لهدايته وشفائه كما أخذها عموم أهل المشارب والعلوم"^(٢)

٢- الانطلاق من الكون والإنسان: - يرى النورسي أن الكون والإنسان يشكلان الأرضية التي من خلالها يعرض القرآن الكريم أهم حقائق الإيمان، ويبرز على صفحتها تجليات أسماء الله الحسنى في الأنفس والأفاق، فقد قال تعالى {سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١٠٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: المتنوي العربي، ص ٢٤٩، ٢٨١، ٣٢١، وأنظر: صيقل الإسلام ص ٣٠، ٥٩.

أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ^(١)

ومن هنا كان القرآن "بياناته المعجزة يسط أفعال الصانع الجليل ويفرش آثاره أمام النظر ثم يستخرج من تلك الأفعال والآثار الأسماء الإلهية، أو يثبت مقصداً من مقاصد القرآن الأساسية كالخسر والتوحيد" ^(٢)

فالإنسان في الخطاب القرآني هو مركز الكون " ^(٣) " وخلاصته، وهو ثمرة الخلقة " ^(٤) " و"مرآة تجليات أسماء الله الحسنى ومشهر جميع معجزات الصنعة الربانية" ^(٥)

ويرى النورسي أن من ملامح الدقة في الانطلاق والتوجيه والقصد في التبليغ: " أن ذكر القرآن لبعض الغايات الراجعة إلى الإنسان إنما هو للإخطار لا للانحصار ، أي لتوجيه نظره إلى الدقة في فوائد نظام ذلك الشئ ذي الغاية ، وفي انتظامه الدال على أسماء صانعه " ^(٦)

بل إن النورسي من شدة تأمله في علاقة القرآن بالكون، وبالأرض بالتحديد، أي المجال الذي يسكن فيه الإنسان، يكشف عن اتصال روحي معرفي (عقلاني) بين القرآن والأرض ^(٧)

ويرجع النورسي عناية القرآن الكريم بالكون والإنسان والربط بينهما في العديد من الآيات إلى كونها قد ركبا بشكل يجعلهما (مناظرين) لما يمكن أن يخبر به القرآن من أمور غيبية فالربيع - الطبيعة - مثلاً - إشارة إلى إمكانية الخسر، ووجود الحافظة في الإنسان -

(١) سورة فصلت: آية رقم (٥٣)

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٤٨٤

(٣) بديع الزمان النورسي: اللغات، ص ٥٩٤

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣١٥، ٣٢٩

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٢٠٤

(٦) بديع الزمان النورسي: المثني العربي، ص ٣٥٧

(٧) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٢٠

مثلاً - إشارة إلى وجود اللوح المحفوظ... وهكذا ^(١)

٣- ضرب الأمثال أو القياس التمثيلي.

لما كان قصد القرآن هو إفهام المخاطبين على اختلاف مستوياتهم، ولما كان فكر الإنسان يقصر عن فهم بعض الحقائق، فقد كثر في القرآن "ضرب الأمثلة" ^(٢) "لتقريب ما دق من الأمور إلى الإفهام" ^(٣)

وإذا كان النورسي قد استخدم طريق التأمل الأفاقى والأنفسى للوصول إلى معرفة الله وهذا الطريق يتوافق مع أذهان العامة والخاصة.

فأنه استخدام طريق ضرب الأمثال وذلك لتقريب الحقائق إلى الأذهان من أجل الوصول إلى أسعى الحقائق وهى معرفة الله.

"ولا يخفى ما لضرب الأمثال من أهمية في تقريب المفاهيم وتبسيطها وغرسها في الذاكرة بحيث أن الموضوع يمكن تذكره بمجرد ذكر المثال، وكذا صلاحيته للتفاهم مع مختلف المستويات العقلية والعلمية.

فالقرآن الكريم - وكذلك الحديث الشريف - قد قربا أمثالا كثيرة لتقريب الحقائق العظيمة لأفهام الإنسان وتعميقها.

ورسائل النور لأنها تسير على درب القرآن، فأنها أوردت كثيراً من الأمثال حتى يمكن أن يعد ضرب الأمثال طابعها المميز. ^(٤)

والغاية من ذلك التدرج والرقى من أجل الوصول إلى معرفة الخالق العظيم.

(١) وهكذا ما يمكن أن نطلق عليه: عند النورسي - دليل (المقابلة والتناظر) حيث ينطلق من الإنسان والكون ليثبت إمكانية ما أخبر به القرآن من غيبات ويسوق الإنسان لمعرفتها، وقد أستعمله النورسي كثيراً في رسائله، أنظر مثلاً: الكلمات: ١٨٥، وما بعدها، ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٩٣، ٦٢٧، وغيرها، وأنظر اللغات، ١٢٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٧٢٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٢٦٦.

(٤) إحسان قاسم: حياته وآثاره، ص ١٧٨، ١٧٩.

ومن النصوص الساطعة التي يعترف فيها النورسي بدءاً بنعمة الله عليه بشعلة ضرب الأمثال ثم بيانه الغاية من هذا الطريق هو قوله:-

" وهب لي الحكيم الرحيم، وأنعم على سبحانه شعلة من " ضرب الأمثال " التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمة منه جل وعلا لعجزني وضعفي وفقري وإضطراري لأنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم، فله الحمد والمنة.

فبمنظار " ضرب الأمثال " أظهرت الحقائق البعيدة جداً أنها قريبة جداً، وبوحدة الموضوع في " ضرب الأمثال " قد جمعت أكثر المسائل تشتتاً وتفرقاً .

ومن نافذة " ضرب الأمثال " قد حصل اليقين الإيماني بحقائق الغيب وأسس الإسلام مما يقرب من الشهود، فأضطر الخيال إلى الاستسلام وأرغم الوهم والعقل إلى الرضوخ، بل النفس والهوى، كما أضطر الشيطان إلى إلقاء السلاح .^(١)

ونلاحظ من خلال هذا النص أن النورسي يلوح بالشعار العظيم { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ }^(٢)

وذلك لبيان أن ضرب الأمثال اشتملت على دلالات وخصائص اقترنت بها، وهذا يتبين من خلال ما ورد في النص السابق وهي على التوالي:-

١- أن " ضرب الأمثال " منظار يخترق الأبعاد- في مختلف الاتجاهات - ونتجاوز الحدود و الحواجز حتى يصل إلى الحقائق، فيأتي بها حتى يضعها أمام الناظر ليس بينها وبينه حجاب ولا ضباب..

٢- أن " ضرب الأمثال " وحدة تصل بين جميع الكائنات والموجودات وما ينتج عن تفاعلها من مسائل وقضايا بخيوط رفيعة يشدها إلى أصولها و كلياتها ومستنها حتى تنتهي إلى الله جل جلاله { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاقُوتٍ فَارْجِعْ

(١) بديع الزمان النورسي: المکتوبات، ص ٤٨٧، وأنظر سيرة ذاتية، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) سورة العنكبوت: آية رقم (٤٣).

الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ }^(١)

{ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }^(٢)

{ أَقْلًا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }^(٣)

٣- أن " ضرب الأمثال " سلم ينسجم مع الطبيعة البشرية التي تأنس بالتدرج وتنفر من الطفرات وحرق المراحل، فالقرآن الكريم يرتقى بالإنسان في مدارج المعرفة حتى يصل إلى الحقائق الكونية الكبرى بسهولة ويسر، حتى قال بعض الحكماء: - " إن المؤمن البسيط في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله لا إله إلا الله يبدأ من حيث انتهى إليه الفيلسوف، هذا الذي أفنى عمره كله للتعرف على مبدع الكون "

٤- أن " ضرب مثال " نافذة نطل عبرها من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فهذا القبس من نور الله جل جلاله، الذي أنزله على خلقه وأذن لهم بعلمه، هو حبل الله المتين الذي يصلنا بأقوى درجات اليقين بعالم الغيب، وقد أفضى القرآن الكريم في وصف هذا العالم وصرف القول فيه حتى صار مشهوراً *

هذه الخصائص الأربعة منفردة ومجمعة، من أهم ما يميز طريق النورسي في ضرب الأمثال المستمد من القرآن في المعرفة *

وهي تجمع بين القوة والتساند والتدرج والتواصل والشمول.

وإذا كان هذا الطريق يوصل إلى أعظم الحقائق فهو يوصل إلى ما دونها بالضرورة، أو يسهل الوصول إليها، ويبيح الظروف المناسبة لبلوغها "^(٤)

٤- التكرار: - لما كانت الحقائق الإيمانية التي جاء بها القرآن الكريم ضرورية للإنسان في الدنيا والآخرة، فقد عمد القرآن إلى تفصيل القول بقصد التوضيح والبيان الشافي،

(١) سورة الملك: آية رقم (٣).

(٢) الأنبياء: آية رقم (٢٢).

(٣) سورة النساء / آية رقم (٨٢).

(٤) د/ مصطفى فوزيل: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، ص ٣٢٧، ٣٢٨. بتصرف.

وكررها عرضاً واستدلالاً بناءً على قاعدة (أن تكرار الحاجة يستلزم التكرار) ^(١)
 "ومنبها على فوائده المنهجية في تبليغ المعلومات وتبيان الحقائق وتحصيل المعارف" ^(٢)
 "ولزوم الحاجة إلى الإفهام" ^(٣)
 ٥- مخاطبة جميع جوانب الإنسان: من المسلم به أن للإنسان ملكات متعددة ^(٤)
 ولطائف متنوعة ^(٥) كالقلب والعقل والروح والسر والنفس .
 ومن هنا كان الخطاب القرآني متوجهاً إلى هذه اللطائف كلها للوصول بها إلى المعرفة الصحيحة.

٦- الدعوة إلى التدبر والتفكير وتحريك ذهن الإنسان من خلال إثارة التساؤلات " وهو مسلك يأمر به القرآن " ^(٦) "لأنه يقود الإنسان على المعرفة وإلى الإيمان وتحقيق معنى الإنسانية فيه" ^(٧)

"والدعوة إلى التفكير، هو سمة من سمات الخطاب والمعرفة القرآنية" ^(٨)

إن القرآن الكريم بهذه الصفات والخصائص صار بحق وجداره أستاذاً يعلم البشرية ويبلغ إليها المعارف والحقائق بأصح ما يكون وأسهله وأدقه وأوضحه وأشمله.
 والنورسي ينطلق من القرآن ويستند إليه بأعتباره علماً مستقلاً بنفسه ومنهجاً قائماً بذاته

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٥٢٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ١٩٦ - ٢٤٠، وانظر: المثوي العربي، ص ٧٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٥٣٠؛ وخاصة التكرار انعكست على أسلوب النورسي في "رسائل النور" حيث أنه كرر الموضوعات عرضاً واستدلالاً، ومزاجاً بين الاختصار والتفصيل.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات ص ٥٨٢.

(٦) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٤٥٦، وللنورسي رسالة سماها (رسالة التفكير الإيماني) وهي اللمعة (٢٩)، أنظر اللمعات ص ٤٥٦ وما بعدها، فجميعها مؤسس على أسلوب تحريك العقل وحته على التفكير للوصول إلى المعرفة، والترقي في درجات اليقين، أنظر الكلمات: ص ٣١١ - ٣٤٧.

(٧) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٧٣.

(٨) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٥٨٣ - ٥٨٦.

تام الأركان ومكتمل العناصر، لأنه من لدن حكيم خبير •

والنظر إلى القرآن بهذا الاعتبار يفتح آفاقاً علمية، ويكشف عن ميزان معرفي يمكن الاحتكام إليه في كل زمان ومكان •

والنورسي تعامل مع القرآن على اعتباره منهجاً ومصدراً متكاملًا للمعرفة، ولهذا أقر بأن "رسائل النور لا مصدر لها سوى القرآن، ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى القرآن"^(١)

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ٢٢١.

النبوة

يرى النورسي " أن الإنسان يمثل أعظم مقصد من المقاصد الإلهية في الكون، وهو المؤهل لإدراك الخطاب الرباني، وقد اختاره سبحانه من بين مخلوقاته، واصطفاه من بين الإنسان المكرم من هو أكمل وأفضل وأعظم إنسان بأعماله وأثاره الكاملة ليكون موضع خطابه الجليل بأسم النوع الإنساني كافة، بل بأسم الكائنات جميعاً ^(١) ".

والإنسان الأكمل والأفضل هو: " النبي الذي يمثل كمال العبودية لله تعالى، إذ هو عبد أصفاه الله تعالى وعرفه على ذاته العلية، وكلفه بمهمة إراءة الكمالات للخلق، فكان بذلك أعرف من كل المخلوقين بخالقه، وأصبح دليل الكون والكائنات، ومعرفهم ومرشدهم لمعرفة الله ^(٢) ".

لهذا فإن النورسي يعطى الأنبياء وهو يستعرض وظائفهم، مهمة التنوير وهداية الناس إلى ما يحققون به سعادة الدنيا والآخرة، وينظر إلى شخصية النبي المعنوية باعتبارها " شمس الكائنات والسراج المنير للخلق أجمعين ^(٣) " لأنه يضيئ الطريق للإنسانية من أجل الوصول بهم إلى معرفة الله.

ومن أبرز الوظائف التي يسندوها النورسي للنبي هي إظهار الألوهية، ويؤسس لهذه الوظيفة من خلال بيانه الغاية العظمى للإنسان .

حيث يجعل من أسمى غايات الإنسان التعرف على الله تعالى وصفاته وشئونه في الكون وهي غاية لا يمكن للقدرات الإنسانية مجردة الوصول إليها، ومن هنا جاءت بعثة الأنبياء والرسل بإظهار ما أنطوى عليه الكون من دلائل على الألوهية، فيقول النورسي: -
" نعم يلزم أن يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس مثل هذا الرسول

(١) بديع الزمان النورسي: رسالة مرقاة السنة، ترجمة، احسان قاسم: ص ٣٨، سوزلر، القاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) نفس هذه المعاني توجد في رسائل النورسي: فأنظر في، الكلمات، ص ٢٧٩، ٥٥، ٤٦، ٣٠، عصي موسى ص ١٢٩ وأنظر للمعات، ص ١٩٤، وانظر إلى أغلب الأدعية الواردة في ختام الموضوعات وخاصة " الكلمات "

(٣) بديع الزمان النورسي: مرقاة السنة، ص ٣٦.

الكريم كلزوم الضوء للشمس، لأنه كما لا يمكن للشمس إلا أن تشع ضياء، لا يمكن للالوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام.

فالجمال والجلال والكمال.. لا تظهر إلا بوجود نبي يحب الخلق فيها، فيكون بمثابة المعرف الحاذق، والمعلن الوصاف لها ^(١)

" والدال على سلطان ربوبية الله، والكشاف الحكيم للغز الكائنات " ^(٢)

بل إن " تجليات عظمة الربوبية وهيمنة سلطنة الإلوهية، إنما تعرف برسالة هذا الداعية العظيم إلى سلطان الربوبية، وتبين بها وتفهم عنها، وتؤخذ منها، وتصديق بها " ^(٣)

ومن خلال استعراض نصوص النورسي في قول: " موضع خطابه " وأنه " واسطة الاتصال بين الله تعالى وخلقه " وأنه " شمس للكائنات وسراج للخلق " و " المعرف الحاذق " و " الدال على ربوبية الله " .

يتبين أن الرسول عند النورسي هو معرف ومعلم مؤهل لإيصال المعرفة إلى المتعلم. أي أن الإنسانية في حاجة كبيرة إلى النبي، ولا يمكنها الاستغناء عنه من أجل الوصول إلى معرفة الله عن طريق يأمن فيه على نفسه من الانزلاق في مهاوي الشيطان.

ويؤكد النورسي على ذلك بقوله: - نعم: مادام الكون قد خلق لأجل الحياة، وأن الحياة هي أعظم تجل وأكمل نقش وأجمل صنعه للحى القيوم جل جلاله .

ومادامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنزال الكتب إذ لو لم تكن هناك رسل ولا كتب لما عرفت تلك الحياة الأزلية .

فكما أن تكلم الفرد يبين حيويته وحياته، كذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم يبينون ويدلون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون .

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٦٢، وأنظر رسالة الحشر، ص ٣٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٤٣، وأنظر نفس المصدر، ص ٦٩٠، ٦٩١.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٥٣٧.

فلا بد أن الحياة التي في الكون تدل دلالة قاطعة على الحي الأزلي سبحانه وتعالى وعلى وجوب وجوده *

كما أن شعاعات الحياة الأزلية كذلك، وتجلياتها تنظر وتتوجه إلى ما لها ارتباطات وعلاقات معها من أركان الإيمان مثل: "إرسال الرسل" و "إنزال الكتب" وثبتهما رمزاً، ولا سيما "الرسالة المحمدية" و "الوحي القرآني"

إذ يصح القول: أنها ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت الحياة، حيث إنها بمثابة روح الحياة وعقلها ^(١)

ولئن كان الإمام "محمد عبده" قد عد النبوة في الكون "بمنزلة العقل في الإنسان"

فأنتا نلاحظ أن النورسي من خلال النص السابق يقفز بمنزلة النبوة (التي هي طريق معرف ودلال من أجل الوصول إلى معرفة الله) إلى أن جعلها بمثابة الروح والعقل في جسد الإنسان وبث الحياة في الكون، وبغياب النبوة يكون الموت. ^(٢) ولكن رغم قفزة النورسي إلا أنه يتلاقى مع الإمام محمد عبده وغيرهم من العلماء المسلمين على أهمية الحاجة إلى النبوة كطريق معرف وموصل إلى معرفة الله وهداية البشر إلى أفضل القيم.

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١١٨-١١٩.

(٢) عبد الوهاب بوخلخال: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص ١٠٩،

١١١ وانظر نفس المرجع ص ١٢٦، ١٢٧، نسل للطبع: استانبول، نقلاً من: محمد عبده: رسالة

التوحيد، ص ٩١، ١٠٣

الكون

يستعرض النورسي في رسائله الآيات الكونية لاشتغالها على البراهين الدالة على معرفة الله ووحدانيته، إذ أن "كل برهان منها قد فتح آفاقاً أرحب ونوافذ أسطع إلى معرفة الله وإلى محبته الخالصة" ^(١).

وهذا الكون الممتد أمام الإنسان وخلفه وتحت وفوقه وعن يمينه وشماله، هو في رؤية النورسي له وجود قائم متحقق، وهيئة منتظمة في غاية الدقة والكمال والجمال.

وهذا الكون يثير الإنسان بجميع ملكاته ولطائفه وجوارحه للبحث فيه من أجل الوصول إلى حقيقة الحقائق وكبرى اليقنيات وهي معرفة الله، فيقول في "الكلمة الثانية والعشرون" من "الكلمات": "لا شك أن لهذا العالم العجيب مدبراً يدبر شئونه، ولهذه المملكة البديعة مالكاً يرعاها، ولهذه المدنية الرائعة سيداً يتولى أمرها، ولهذا القصر المنيف صانعاً بديعاً قد أبدعه فأرى لزماً علينا أن نسعى لمعرفة، إذ يبدو أنه هو الذي قد أتى بنا إلى هاهنا وليس أحد غيره فلو لم نعرفه فمن ذا غيره يسعفنا ويغيثنا ويقضي حوائجنا" ^(٢).

فالنورسي إذأ "ينظر إلى الكون باعتباره كتاب صمداني ينطوي على معاني عميقة وغزيرة" ^(٣) يجب التعرف عليها.

وهذا ما عبر عنه النورسي في "اللمعات" بوصفه للكون بأنه: "قرآناً منظوراً" ^(٤).

أي مصدراً للمعرفة يستقى منه الإنسان ما يوصله إلى معرفة الله، وذلك "لأن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه هي: معرفة خالق الكون سبحانه والإيمان به" ^(٥).

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٢٤.

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: بحوث في فكر سعيد النورسي، ص ٧٠، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٣) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: بحوث في الفكر النورسي، ص ٦١ وأنظر، بديع الزمان، الكلمات، ص ٧٤.

(٤) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٥٣٠.

(٥) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٣٥.

" فأرفع رأسك وأفتح عينك، وألق نظرة على كتاب الكون الكبير، ترى أنه يقرأ على الكون كله ختم الوحدة بوضوح تام" ^(١) بل " إن جميع عوالم الكون علويها وسفليها، تدل بألسنة مختلفة على نتيجة واحدة، أي على ربوبيته... ويدل على صانع حكيم " ^(٢)

" وهكذا، فالجمال الذي يشع من وجه الكون... والعشق الذي يخفق به قلبه.. والانجذاب الذي يمتلئ به صدره.. والكشف والشهود الذي تبصره عينه... والروعة والإبداع في مجموع الكون كله يفتح نافذة لطيفة جداً نورانية ساطعة أمام العقول والقلوب اليقظة، يتجلى منها ذلك الجميل ذو الجلال، الذي له الأسماء الحسنى، وذلك المحبوب الباقي والمعبود الأزلي" ^(٣).

وبالرغم من أن النورسي في كتابه " الكلمات " يستفيض في حديثه عن الكون، إلا أنه خصص له رسالة " الآية الكبرى " ^(٤)

وهي مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه " تبدأ باستدلال الكون على معرفة الله وإظهارها له، وأن هذا الكون يدل على صانعه وكائنه ومصدره والذي أوجده " ^(٥)

" وأن آيات كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } ^(٦) تذكر في مقدمة تعريفها لخالق هذا الكون " السماوات " التي هي أسطح صحيفة للتوحيد، بحيث ما يتأمل فيها متأمل إلا تضرمه الحيرة ويغشاه الإعجاب، فيستمتع بمطالعتها بكل ذوق ولذة...

نعم، إن كل من يأتي ضيفاً إلى مملكة هذه الدنيا ويحل في دار ضيافتها، كلما فتح عينيه

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٣٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٧٨٧، ٧٨٩، وأنظر في نفس المرجع ص ٨٣٨، ٨٣٩.

(٣) المرجع السابق نفسه: ص ٨١٨.

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٤١.

(٥) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٢٨٤.

(٦) سورة الإسراء: آية رقم (٤٤)

ونظر ورأى: مضيفاً في غاية الكرم... ومعرضاً في غاية الإبداع.. ومعسكر تدريب في غاية الهيبة.. ومنتزهاً جميلاً في غاية الروعة.. ومشهوراً في غاية الإثارة للشوق والبهجة.. وكتاباً مفتوحاً ذا معان في غاية البلاغة والحكمة..

وبينما يولع الضيف السائح بأن يعلم ويتعرف على صاحب هذه الضيافة الكريمة، وعلى مؤلف هذا الكتاب الكبير، وعلى سلطان هذه المملكة المهيبة، إذا بوجه السماوات الجميل المتلألئ بالنجوم يطل عليه منادياً: "انظر إلى، فأنا أعرفك بالذي تبحث عنه
" فينظر السائح ويرى... أن ربوبية ظاهرة تتجلى"^(١)

وهكذا من خلال "مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه" يبين النورسي أن المعرفة بالكون هو ارتقاء من مقام المعرفة الغيائية إلى مقام المعرفة الحضورية والمخاطبة، فيقول: "إن السائح الذي أتى إلى الدنيا ويبحث عن خالقه وصعد في ثمان عشرة مرتبة، وبلغ عرش الحقيقة بمعراج إيماني، ارتقى من مقام المعرفة الغيائية إلى مقام الحضور والمخاطبة"^(٢).

وإذا كان النورسي قد أكد أن "كتاب الكون يعلمنا ويدلنا على وجود الله ووحدانيته"^(٣) وأن "لسان نظام الكون يقول لا خالق إلا هو"^(٤)

فأننا نراه يؤكد كثيراً على العلاقة المتلازمة بين الكون المقروء والمنظور، ويقدم الكثير من البراهين على قوة الارتباط بينهم.

ومن النصوص التي سطرها لبيان الإندماج بين القرآنيين المقروء والمنظور قوله:-

أن "هذا القرآن البديع الجميل الزاهي، هو هذا الكون البديع"^(٥) و "هو الذي يفسر

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٤١، ١٤٢، وأنظر في نفس المرجع ص ١٣٢، ٢٥٥.

(٢) بديع الزمان: الشعاعات، ص ١٨٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٤٢.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٨٣٩.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ١٤٢، ١٤٣.

آيات كتاب الكون ^(١) " ويتلو آيات الكائنات في مسجد الكون الكبير ^(٢) ..

"نعم، إن القرآن الكريم (المقروء) هو أعظم تفسير وأسماه، وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع، الذي هو قرآن آخر عظيم (منظور) ..

نعم، إن ذلك الفرقان الحكيم هو الذي يرشد الجن والإنس إلى الآيات الكونية التي سطرها قلم القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع، ودبجها على أوراق الأزمنة والعصور *

وهو الذي ينظر إلى الموجودات - التي كل منها حرف ذو مغزى - بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل ^(٣) .

" ومن هنا يتضح شمول رؤية النورسي للربط بين الكتاب المقروء والكتاب المنظور، وأن كلاهما مفتاح للآخر، فمفتاح الكون المنظور هو القرآن الكريم الذي يأمر بالنظر في آياته المتعددة من الليل والنهار والشمس والقمر ومفتاح القرآن الكريم هو نفسه وآفاقه ^(٤) "

ويربط النورسي بين المصادر المعرفية الثلاثة " النبوة والكون والقرآن " في عقد فريد منظوم فيقول: " فإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكون وتوفيت الكائنات وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جن جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزلزل عقلها وظلت بلا شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء، وقامت القيامة ^(٥) "

وكان النورسي يريد أن يبين تلازم واندماج هذه المصادر واحتياج كلا منهما إلى الآخر من أجل التمام المعرف *

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١٣٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١٤٣.

(٤) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: أ.د/ سامي عفيفي حجازي: قضايا معاصره فكر النورسي / ص ٣٩ سوزلر، القاهرة،

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١١٩.

وكذلك يريد أن يوجه نظر الإنسان في كل زمان ومكان إلى استقراء الدليل الكوني بمنهج قرآني يجمع فيه بين الأدلة كلها متعاضدة ومتساندة، وتمثل نظرة جامعة إلى الوجود كله^(١)

وإذا كان النورسي قد قام بالربط بين المصادر السابقة، فإنه يرى أن الإنسان هو محور ومرتكز هذه المصادر، و " هو أسمى مخلوق في الكون، بل هو سلطان الأرض ونتيجتها "^(٢) " وأنه العالم الأصغر الذي ينطوي على ما ينطوي عليه العالم الأكبر "^(٣)

لهذا يقوم بالربط بين الإنسان " أنا " ^(٤)، والمعرفة بالكون، فيقول: " إن " أنا " مفتاح يفتح الكنوز المخفية للأسماء الحسنى، كما يفتح مغاليق الكون، فهو بحد ذاته طلسم عجيب، ولكن بمعرفة ماهية " أنا " ينحل ذلك الطلسم العجيب، وينكشف ذلك المعنى الغريب " أنا " وينفتح بدورة لغز الكون، وكنوز عالم الوجوب..

وأعلم أن مفتاح العالم بيد الإنسان وفي نفسه، فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب - ظاهراً - إلا أنها منغلقة - حقيقة - فالخلق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحاً يفتح كل أبواب العالم، وطلسماً يفتح به الكنوز المخفية لخلق الكون، والمفتاح - هو ما فيك من " أنا " إلا أن " أنا " أيضاً معمم مغلق وطلسم منغلق، فإذا فتحت، " أنا " بمعرفة ماهيته الموهومة - وسر خلقته - انفتح لك - طلسم - الكائنات كالآتي:-

إن الله جل جلاله وضع بيد الإنسان أمانة هي " أنا " الذي ينطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق أوصاف ربوبيته الجليلة، وشئوننا المقدسة، أي يكون " أنا " وحدة قياسية تُعرف بها أوصاف الربوبية وشئون الألوهية "^(٥).

(١) أ.د: أحمد عبد الرحيم السايح: أ.د: سامي عفيفي، وقضايا معاصرة في فكر النورسي، ص ٤١.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٧٦.

(٣) أدب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإبائية عند النورسي، ص ١٠، مركز للنشر، القاهرة

١٩٩٧م.

(٤) ليس المقصود بها تلك الصفة المذمومة، أنظر الكلمات، ص ٦٣٦.

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٦٣٥، ٦٣٦.

وهنا يتبين لنا أنه على الرغم من أن " الكون " يمثل مصدراً معرفياً عند النورسي، فإنه

في المقابل يرى أن الإنسان هو مفتاح هذا المصدر .

وإذ كان هذا " الكون " يمثل الهيكل المرآتي الذي يعكس صوراً متتابعة مما ينطوي عليه من الحكمة والنظام والجمال والعلم والقدرة والإرادة والمعنى والمغزى المبجلة لكل أوهام العبثية والتصادفية في الخلق والإيجاد .

فأنه في المقابل يرى أن " الإنسان " هو " العالم الأصغر " الذي ينطوي على ما ينطوي عليه العالم الأكبر.

" ومع هذا فإنه النورسي يحذر الإنسان من السقوط في مهاوى " أنا " داخل النفس لكي يستطيع فتح مغاليق هذا الكون .

وكذلك يحذره من السقوط في سجن الكون خارج النفس، وعدم الاستغراق فيه إلى الحد الذي يجد فيه نفسه وقد ابتلعه الكون، وحبسه في ضيق سجنونه، لينسيه مكون الكون وخالق الكائنات كما هو الشأن عند البعض ممن استعبدتهم الطبيعية واسترقتهم سننها ونواميسها.

" فالكونية " حين ننأى بها أن تكون سلماً للارتقاء إلى المعرفة الإلهية تصبح - في نظر الإيمان - لها قدمت من معارف التقدم الحضاري - هبوطاً معرفياً لا ينبغي للإنسان الوقوف عندها والاستغراق فيها، أو اعتبارها خاتمة المعارف التي لا معرفة فوقها .

فهذا الهبوط المعرفي هو هبوط من حرية " اللاكونية " إلى سجون " الكونية " ونزول بالمعرفة من الأعلى إلى الأسفل، وانحدار في الفهم الإدراكي من " اللانهائي " إلى " النهائي " وانتقال في الزمن من البقاء والخلود إلى الزوال والعدم.

فسيدنا " إبراهيم عليه السلام " يضيق صدره بالكون كله، ويجهد للنفوذ من بين جدرانه، والخلاص من قيوده وكسر أغلاله، والارتفاع بمعرفة نحو " اللاكونية " .

فأعطى للبشرية نموذج الإنسان الذي يلهبه التوق إلى المعرفة الإلهية التي هي أعلى

المعارف بمقولته الخالدة التي نطق بها القرآن على لسانه وهو يدبر طرفه الكسير في أفاق السماوات والأرض فيصرخ مستغيثاً: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ} ^(١) أي أريد خلاص نفسي من سجن الكون الذي سيأفل عاجلاً أم آجلاً، وأريد الانطلاق إلى عالم البقاء والوجود الذي لا يزول ولا يحول، حيث المعرفة المطلقة التي تتهاوت إزاء كل معارف الكون بنسبيتها ومحدوديتها...، هكذا يفسر النورسي كلمة سيدنا "إبراهيم عليه السلام" .. ^(٢) فالمعرفة الكونية هي حصيلة بحث الإنسان وتجربته ومعاناته، لكنها تبقى مع ذلك معرفة تحتية يهبط إليها الإنسان من سماء التكريم الذي حظي به من رب العالمين *

لأن الكون بالأصل خلق ليكون حجة الله على الإنسان، وليكون في الوقت نفسه في خدمة الإنسان، فكلما اتسعت معرفته به اتسعت قدرته على تسخيرها لمنافعه ومصالحه الدنيوية وليس العكس

أما المعرفة الإلهية: فهي معرفة فوقية مرتبطة بعرش الرحمن، ولا يرقى إليها الإنسان إلا إذا أستجمع كل طاقاته، وأستنفر قوى "العقل والحس والشعور والخيال والحدس" لتفتح له الطريق إليها، ولتكون رديفته في الفهم عنها ودرك مراميها ومقاصدها ^(٣)

وهذا فإن الإمام النورسي يوجه نظر الإنسان في كل مكان وزمان إلى إستقراء الدليل الكوني بمنهج قرآني يجمع فيه بين الأدلة كلها متعاضدة ومتساندة وتمثل نظرة جامعة إلى الوجود كل *

والنورسي يرى أن اهتمام القرآن بالكون هو اهتمام إنمائي وظيفي، يهتم بالأمور للوصول إلى غايتها لا إلى أوصافها وهيئاتها وخصائصها فقط *

وهذا ما يفرق بين الوعي الكوني الإيماني وبين الوعي الكوني المنقطع عن الإيمان. ويتحقق الوعي الكوني الإيماني عند النورسي بترابط القرآنيين المقروء والمنظور

(١) سورة الأنعام: آية رقم (٧٦)

(٢) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص ١٢، ١٣.

(٣) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص ١٤.

وتساندهما وتعاونهما في أن يفسر كل واحد منهما الآخر لإيضاح الصورة المعرفية الصافية •
فكما أن القرآن المقروء هو مفسر القرآن المنظور، فإن النورسي يؤكد بأن "كتاب الكون
المشهدود بآياته الشئونية تفسر تلك الآيات القرآنية (أيضاً) وتقربها إلى فهمك برؤية كثير من
نظائرها المشهودة لعينك، في تلافيف إختلاف الليل والنهار، وفي معاطف تحول الفصول
والاعصار"^(١)

إذاً فالمصادر المعرفية عند النورسي هي مصادر يأخذ بعضها برقاب بعض في إندماج
قرآني واحد، وذلك لتأصيل معرفة كلية وشمولية، لكي تصبح معرفة حية وفاعله ومؤثرة
في الوعي والسلوك.

كما أنه يريد وضع المعرفة في إطارها الموضوعي، ويريد أسلمتها، لأن الإسلام هو
المنهج القويم الذي جمع كل المصادر التي تعين الإنسان وترقى به إلى المعرفة اليقينية، كل
ذلك في بوتقة القرآن الكريم وهديه وإرشاده.

• النورسي يجمع بين: الكون • والعقل • والقلب •

إن الباحث في رسائل النور يجد أن النورسي يتلمس ويتحسس أي طريق يكون منبعه
القرآن وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة الكبرى وهي "معرفة الله" •
ومن بين هذه الطرق ما يلي:-

الطريقة الأولى.. والثانية:- التأمل الأفاقى والأنفسى (عقلي، قلبي)

وينطلق النورسي في هذين الطريقتين (الأفاقى والأنفسى) من خلال توجيه القرآن
الكريم { سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم }^(٢) وذلك من أجل الوصول إلى حقيقة
الحقائق وهي معرفة الله.

وحين يتحدث النورسي عن "السير الأنفسى" و "السير الأفاقى" فإنه يرى:

(١) بديع الزمان النورسي: المثوى العربى، ص ٤٤٧، وأنظر.أ. د: أحمد عبد الرحيم السايح، أ.د: سامي

عفيفي: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص ٤١.

(٢) سورة فصلت: آية رقم (٥٣)

أن " السير الأنفسى يبدأ من النفس، ويصرف صاحب هذا السير نظره عن الخارج ويحدق في القلب مخترقاً أنانيته ثم ينفذ منها ويفتح في القلب، ومن القلب سبيلاً إلى الحقيقة..

ومن هناك ينفذ إلى الأفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعاً، لأن الحقيقة التى شاهدها في دائرة النفس يراها بمقياس أكبر في الأفاق •

وأغلب طرق المجاهدة الخلفية تسير وفق هذه السبيل، وأهم أسس هذا السلوك هو كسر شوكة الأنانية وتحطيمها وترك الهوى وإماتة النفس.

أما النهج الثانى: فيبدأ من الأفاق، ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدوائر الأفاقية الكونية الواسعة •

ثم ينفذ إلى دائرة النفس، فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلبي فيفتح في هذا القلب أقرب " طريق إلى الله تعالى " ويشاهد أن القلب حقاً مرآة الصمد، فيصل إلى مقصوده ومنتهى أمله ^(١)

والواقع أن القارئ لهذا النص يلمس مسحة صوفية عند النورسي، ولكن يمكن إرجاعها إلى أثر النشئة التى تربى فيها النورسي وعاشها.

ولكن نؤكد أن طريقة التأمل الأنفسى والأفاقي استقاها النورسي من منبع القرآن ليؤكد أن " السياحة الفكرية تفتح أبواب المعرفة والإيمان " ^(٢).

وأن " التأمل يسوق إلى معرفة الله " ^(٣)

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يتواصل مع المفكرين المسلمين القدامى، ويتلاقى مع أغلب المعاصرين على أهمية الطريقتين التى تستند على التأمل الأفاقى والأنفسى من أجل الوصول إلى معرفة الله.

(١) بدیع الزمان النورسی: المکتوبات، ص ٥٧٥.

(٢) بدیع الزمان النورسی: الشعاعات، ص ١٥٣.

(٣) بدیع الزمان النورسی: الكلمات، ص ٢٤٧.

العقل

تمهيد في تعريف العقل.

العقل في اللغة: - تدل مادة "عقل" في اللغة العربية على حالة حبس وتقييد.

قال ابن فارس: العين والقاف واللام أصل واحد متقاس، يدل على حبسه في الشيء، أو ما يقارب الحبسة... فالعقل حبس أو منع، ومنه عقل البعير الذي يمنعه من الانفلات، والمعقل: الذي يلجأ إليه الناس فيمنعهم من عدوهم ونحوه.

وعلى هذا سمي العرب ما في الإنسان عقلاً، لأنه يمنعه من أشياء لولاه لأنساق إليها الإنسان.

قال في تهذيب اللغة: سمي عقل الإنسان الذي فارق به الحيوان عقلاً لأنه يعقله، أي يمنعه من التورط في الهلكة، كما يعقل العقال عن ركوب رأسه.

وإذا كان عقل البعير شئ مادي محسوس، فإن عقل الإنسان غير ذلك، إنه وإن كان محله جسم الإنسان، في رأسه أو قلبه أو سائرته (وفي ذلك خلاف طويل) فإنه محسوس، ولذا عرفوه بأنه: ملكة، أو قوة، أو نور^(١)

مفهوم العقل:

قال أهل العلم: "العقل جوهر مضي خلقه الله في الدماغ، وجعل نوره في القلب.

وقال أهل اللسان: العقل ما ينجي صاحبه من ملامة الدنيا وندامة العقبي.

وقال حكيم: العقل حياة الروح، والروح حياة الجسد.

وقال آخر: ركب الله في الملائكة العقل بلا شهوة، وركب البهائم الشهوة بلا عقل، وفي ابن آدم ركب كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم.

(١) د: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٣٠١، ٣٠٢، نقلاً

من معجم مقاييس اللغة - مادة "عقل"

- وقال أهل المعرفة: العاقل من اتقى ربه وحاسب نفسه •
- وقيل: من يبصر مواضع خطواته قبل أن يضعها •
- وقيل: الذي ذهب دنياه لأخرته •

وقيل: الذي يتواضع لمن فوقه ولا يحتقر لمن دونه، ويمسك الفضل من منطقة، ويخالف الناس باختلافهم •

وقيل: الذي يترك الدنيا قبل أن تتركه، ويعمر القبر قبل أن يدخله، وأرضى الله قبل أن يلقاه وقيل: إذا اجتمع للرجل العلم والعمل والأدب يسمى عاقلاً، وإذا علم ولم يعمل، أو عمل بغير أدب، أو عمل بأدب ولم يعلم، لم يكن عاقلاً.^(١)

ويقول "السرخسي" في أصوله: "العقل نور في الصدر، به يبصر القلب عند النظر في الحجج بمنزلة السراج، فأنه نور تبصر العين به عند النظر فتري ما يدرك في الخواص، لا أن السراج يوجب رؤية ذلك، ولكنه يدل العين عند النظر عليه •

فكذلك الصدر الذي هو العقل، يدل القلب على معرفة ما هو غائب عن الخواص من غير أن يكون موجباً لذلك، بل القلب يدرك العقل"^(٢)

"ويقول "الغزالي" في المنخول: "العقل هو صفة يتهيأ للمتصف بها درك العلوم والنظر في المعقولات"^(٣)

"وقال الحارث بن أسد المحاسبي في "العقل وفهم القرآن" قوله: إن العقل غريزة جعلها الله في الممتحنين من عباده، لا يوصف بجسم ولا لون، ولا يعرف إلا بأفعاله •

والذين عرفوا العقل بأنه جوهر من العلماء المسلمين - لم يقصدوا بحوهريته مفارقتها للمادة وقيامه - مستقلاً - بنفسه كالعقل الفعال في الفلسفة اليونانية، وإنما أرادوا بيان

(١) محمد رضوان خليل مجدلاوى: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص ٢٦١، ٢٦٢، نقلاً من، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي، ٢/ ص ١٢٠١، ١٢٠٠.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص ٢٦٢، نقلاً من - أصول السرخسي ١/ ص ٣٤٦.

(٣) المرجع السابق نفسه: ص ٢٦٢، نقلاً من - المنخول للغزالي، ص ٤٥.

إختلاف فعله عن فعل الأعضاء المادية في الإنسان، كالسمع، والبصر، والحواس، وقصدوا من تجرده عن المادة: سبق مبادئه المدركات الحسية، ولهذا فأنهم يجعلون فعله مقترناً بالمادة.

"وقال الجرجاني في "التعريفات" عن العقل: "إنه جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله - فهو - : جوهر روحاني، خلقه الله متعلقاً بالبدن"^(١)

وعرفه الدكتور "يوسف العالم" بقوله: "العقل قوة في نفس الإنسان يستطيع عن طريقها إدراك العلوم، وتحصيل المعارف، وله عدة أطلاقات ومعاني مختلفة عند العلماء والحكماء والعامة، والذي نقصده هو القوة الإدراكية التي تلي قوة الحواس، وفي مجال يفوق مجال الحواس ودون مجال الوحي الإلهي الذي يأتي عن طريق الرسل لهداية العقل الإنساني إلى سواء السبيل

ويجنبه الزلل والضلال، ويخرجه من الظلمات إلى النور"^(٢)

وهذا التعريف يوضح مفهوم العقل ووظيفته ومكانته ودرجته، وهذا يتوافق كثيراً مع رؤية النورسي للعقل، إلا أن النورسي يرفع من مكانة العقل، حيث يجعل الحواس جنوداً للعقل.

(١) د: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٣٠٢.

(٢) محمد رضوان خليل مجدلاوي: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص ٢٦٤، نقلاً من د/ يوسف حامد العالم: المقاصد العامة في الشريعة الإسلامية، ص ٣٢٨. بتصرف.

العقل مصدراً للمعرفة.

يؤكد النورسي على حقيقة ما أقره الإسلام، وأتفق عليه الفلاسفة المسلمون باعتبار العقل مصدراً من مصادر المعرفة •

"بل إن موجودات هذا الكون بأجمعها تشهد على وحدانية خالقها وأنه واجب الوجود وأن الإنسان بما جهزه الله من عقل وفكر أفضل مرآة لأسماء الله الحسنی. لذا يعد سلطاناً على سائر المخلوقات" ^(١)

كما أن "كل ذي شعور يعلم أن الله سبحانه قد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، ورباه أحسن تربية، وزوده من الأجهزة والأعضاء - كالعقل والقلب - ما يتطلع به إلى السعادة الأبدية ويسوقه نحوها" ^(٢)

وتكتنز رسائل النور بمدح العقل وكونه آية من آيات الله وأنه "أتمن نعمة" ^(٣) وهو "مفتاح الكثر" ^(٤) المعرفي، وعلامة على تميز الإنسان •

"ذلك لأن الإنسان - بما منح من عقل وفكر - ذو علاقة فكرية وثيقة بالماضي والمستقبل فضلاً عما هو عليه من زمان حاضر، حتى أنه يتمكن من أن يزوق لذائد تلك الأزمنة ويشعر بألمها، خلافاً للحيوان الذي لا تعكر صفو لذته الحاضرة الأحزان الواردة من الماضي، ولا المخاوف المتوقعة في المستقبل، حيث لم يمنح الفكر" ^(٥)

ويتميز الإنسان بالعقل عن سائر الكائنات، أصبح "العقل هو أفضل أجهزة الإنسان

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ٦٠٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٣٠١، وانظر - الشعاعات، ص ٢٦٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١١٦.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٢٤٠.

(٥) المرجع السابق نفسه ص ١٦٠.

وأرقاها" (١)

ويؤكد النورسي على ما قرره الشرع وتوافق عليه علماء المسلمين جميعاً من ارتكاز التكليف على العقل، وأن العاقل هو المنوط بالتكليف، وخطاب الشرع متوجه إليه " وذلك لأن سر التكليف الإلهي يقتضي فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه" (٢)

ويقول النورسي في موضع آخر: " ذلك لأن سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه" (٣)

كما " أن الإيمان يحافظ على حرية العقل في الاختيار ولا يسلبها منه" (٤) وذلك " لأن المسائل الإيمانية لا يتم الحصول عليها عن طريق العلم وحده... إلا إذا دخلت معدة العقل والفهم" (٥)

وإذا كان النورسي قد تحدث عما يميز الإنسان عن بقية الكائنات بالعقل، فأنتنا نجد أنه يبرز ما تميز به الإسلام عن سائر الأديان من خلال تعظيمه وتحكيمه للعقل فيقول:-

" إن " لا يعلمون " وأمثالها من فواصل الآيات من " لا يعقلون " و " لا يتفكرون " و " لا يتذكرون " وغيرها، تشير إلى أن الإسلامية مؤسسه على العقل والحكمة والعلم، فمن شأنها أن يقبلها كل عقل سليم، لا كسائر الأديان المبنية على التقليد والتعصب" (٦)

كما " أن الإسلام يحمي أهل العلم، ويستشهد العقل والعلم، ويوقظها في النفوس، فضلاً عن أنه يستشهد العقل وينبهه بإحالة كثير من الأمور - في القرآن الكريم - إلى العقل - ويحثه على التدبر والملاحظة بقوله تعالى: (أفلا يتفكرون..... أفلا يتدبرون..... أفلا تعقلون).

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١١٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٧٠٣، ٧٠٤، وأنظر: المکتوبات، ص ٢٧٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: المکتوبات، ص ١١٨.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٧٠٥، وأنظر: المکتوبات، ص ٢٧٤.

(٥) بديع الزمان النورسي: المکتوبات، ص ٤٢٦.

(٦) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص ١٦٤، وأنظر: المثوي العربي، ص ٤٢٩، ٤٥٨.

فيمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل بهذا مقاماً رفيعاً بأسم الدين، ويوليهم أهمية خاصة فلا يعزل العقل، ولا يجبر على عقول أهل الفكر ويكتم أفواههم، ولا يطلب التقليد الأعمى كما هو في المذهب الكاثوليكي...

إن أساس النصرانية الحاضرة - لا النصرانية الحققة - وأساس الإسلام يفترقان في نقطة مهمة " (١) ألا وهي احترام الإسلام للعقل وتحكيمه.

بل " أقسم بالقرآن العظيم ذو الأسلوب الحكيم، أنه ما ألقى النصارى (في الوقت الحاضر، لا النصارى الحققة) وأمثالهم في وديان الضلالة نافخاً فيهم الهوى، إلا عزل العقل وطرد البرهان وتقليد الرهبان، وما جعل الإسلام يتجلى دوماً، وتتكشف حقائقه وتنسبط بنسبة انبساط أفكار البشر، إلا تأسسه على الحقيقة وتقلده البرهان ومشاورته العقل واعتلائه عرش الحقيقة، ومطابقته دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد، ومحركاتها.

ألا يشاهد كيف يحيل القرآن الكريم في فواتح أكثر الآيات وخواتمها البشر إلى مراجعة الوجدان واستشارة العقل " (٢)

وتوافق رؤية النورسي مع ما قرره الأمام " محمد عبده "، حيث جعل من مسألة " معقولية الحقائق الإسلامية " أحد الأمور الجوهرية التي تفصل بين الإسلام والنصرانية في علاقة كل منهما بالمعرفة والمدنية.

فالإمام " محمد عبده " يرى أن من بين المآخذ على النصرانية - والتي يزعم أصحابها أنها تحتفي بالعلم والعقل - جعلها " الإيذان بغير المعقول " أصلاً من أصولها .

بل هو عند عامة المسيحيين أصل الأصول، ولا يختلف فيه " كاثوليك، ولا أرثوذكس والبروتستنت " إذ يرون " أن الإيذان منحة لا دخل للعقل فيها، وأن من الدين ما هو فوق العقل، بمعنى ما يتناقض أحكام العقل، وهو مع ذلك يجب الإيذان به.

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٤١٨، ٥٦٢.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٢.

قال القديس أنسلم: يجب أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظر، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت.

أما الإسلام - كما يرى الإمام محمد عبده - فهو على العكس من ذلك تماماً، حيث أن أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده وسيلة الإيمان الصحيح^(١)

كما يتلاقى النورسي مع غالبية العلماء والفلاسفة المسلمين (قديمهم وحديثهم) بتوافق وتلازم النقل والعقل وعدم معارضتهم.

"فالشرع يسير في طريق العقل، والعقل يسير بنور الشرع.

فالعقل مع الشرع نور على نور" ^(٢)

وإذا نظرنا إلى مقاصد الشريعة، فإننا نجد أن الشرع نزل لحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

كما أن الشرع يجعل من حرية إعمال العقل والتفكير لأبعد مدى يسمح به الشرع من أهم الأشياء للوصول إلى المعرفة الصحيحة اليقينية •

ولهذا يقول النورسي: - "إن القرآن على الرغم من إشارته إلى الحالة الأصلية بخلق الكون وإلى أصل العالم.. فإنه لا يقيم أيما حد مهما يكن في وجهه قوى العقل البشري، ولكنه يتركها طليقة تتخذ السبيل الذي تريد" ^(٣)

وعما يؤكد هذا "أن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتمها، تحيل الإنسان إلى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك أيها الإنسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة" ^(٤)

(١) أ. د: أحمد عبدا لرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص ٥٣، ٥٢، نقلاً من،

محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، ص ٢٠، ٤٣ بتصرف واختصار.

(٢) أ. د: محمد سيد أحمد المسير، التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، ص ٧١. بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص ٢٧٦.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.

وبيّن النورسي أن العقل والنقل صدق كل منهما حقائق الإسلام، فيقول:-

"التحيات للحاكم الحكيم الرحمن الذي لم يزل... الذي فضلنا بالإسلام، وهدانا إلى الصراط المستقيم بشريعته الغراء، تلك التي صدق العقل والنقل معا حقائقها السابقة، الراسخة في أرض الحقيقة أصولها، والمتشرة في سماء الكمالات فروعها، والحاملة بسعادة الدارين ثمارها"^(١)

فالنورسي يريد أن يثبت أولاً: "معقولية الحقائق الإسلامية"^(٢)

ثانياً:- أن تلازم العقل والنقل هو الذي أبعد الشكوك والأوهام من ساحة المعرفة الصحيحة الموصلة لليقين، فيقول: "لما كان المهيمن هو الحق والبرهان والعقل والشورى في خير القرون وعصور السلف الصالح، لم يكن للشكوك والشبهات موضع •

كذلك نرى أنه بفضل انتشار العلوم في الوقت الحاضر وهيمتها بصورة عامة، وفي المستقبل إن شاء الله، سيكون المهيمن هو..... العقل بدلا من الطبع"^(٣)

ثالثاً:- التأكيد على أننا "نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلوبنا حقائق الإيمان.

فلسنا كمن ترك التقليد بالبرهان تقليدا للربهان كما هو دأب أتباع سائر الأديان.

وعلى هذا: فإن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا للعقل والمنطق والبرهان"^(٤)

و "إذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلا ويؤول النقل، ولكن ينبغي لذلك

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٤٥١، وأنظر صيقل الإسلام، ص ٢١. قارن ذلك مع قول الإمام الشاطبي (٩٧٠ هـ) في (الموافقات) حيث يؤكد على أن عقائد الإسلام وحقائق الإيمان لا تتناقض مع العقل، ذلك لأن هذه الحقائق التي يوردها القرآن حقائق معقولة، وبناءً على هذا "فالأدلة الشرعية لا تنافي العقول"، سلسلة التراث - ج ٣ ص ٢٥، ٢٠ - مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٦ م.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٤٥١.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥١.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.

العقل أن يكون عقلاً حقاً" (١)

ولكن ما هو ذلك العقل - الذي عبر عنه النورسي - الذي ينبغي أن يكون عقلاً حقاً؟.

يجيب النورسي عن هذا السؤال •

حيث يرى النورسي أن "العقل المسلم" ينبغي أن يكون قرآني التصور لمفاهيم التوحيد ولصفات الكمال والجلال التي يتصف بها الله سبحانه وتعالى.

وأن هذا "العقل" الذي تُشكل المفاهيم القرآنية تصوراتهِ عن الألوهية والربوبية.. لا يمكن أن يرقى إلى قمته عقل كائناً ما كان ما دام محجوباً عن القرآن" (٢)

فالنورسي يريد أن يبين أن الشرع هو الحارس الأمين للعقل، خوفاً من انزلاقه في الضلال فالتاريخ يحدثنا أنه "بسبب غياب العقل الإيماني" من أدعى "الألوهية" و"الربوبية" من الملوك والأباطرة والفراعين، وغيرهم على اختلاف مدعياتهم الباطلة، وما خلفوه وراءهم من جروح وآلام في الشعوب والحضارات" (٣)

إذاً فالنورسي يؤكد على أهمية ومكانة العقل في الإسلام الذي هو "أئمن نعمه" (٤)

ويريد له أن يكون منطلقه من القرآن، وأن يتآخى معه ولا يتنافر، لأن كلاهما يصدق ما أقره الآخر وتوصل إليه •

وهذا يثبت عدم عبثية أن يعلق الشرع شرط التكليف على العقل، ويضع معياره سن البلوغ الشرعي، ولكن العبث أن لا نضع العقل في مكانته الصحيحة، فإن وضعناه بأقل مما يجب جُرحنا عليه وبخسناه حقه أيضاً، والمولى عز وجل يقول { وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ } (٥)،

(١) المرجع السابق نفسه: ص ٢٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: المثوي العربي، ص ١٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: المثوي العربي، ص ١٠.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١١٦.

(٥) سورة المطففين: آية رقم (١).

والتطفيف يكون بالزيادة أو النقصان، ليس للماديات فحسب، بل للمعنويات أيضاً على السواء.

إذا فالعقل الحق عند النورسي هو: "العقل الإيماني" أو كما يسميه كذلك: "العقل القرآني"

فإذا أصبحت العقول هكذا: "انفتحت لها نافذة عظيمة على المعرفة الإلهية، حيث يطل منها نظر العقل الحاد على وجود الخالق العظيم"^(١)

بل "إن عقول البشر مستقول بلا شك أمام تلك الحقائق الإلهية والحقائق الكونية التي أظهرها القرآن الكريم: صدقت، ومستقبل تلك الحقائق بعد استماعها إلى بيان القرآن بصفاء القلب وتركيز النفس، وبعد رقي الروح واكتمال العقل... وستباركه"^(٢)

كما أن "عقل البشر وإن لم يدرك أحوال الآخرة والبرزخ بمفرده ولا يراها وحده، إلا أن القرآن يبينها ويثبتها إثباتاً يبلغ درجة الشهود"^(٣)

ويبين النورسي "أن القرآن الكريم ينشر منسوجات الصنعة الإلهية ويعرضها علي أنظار البشر ثم يلفها ويطويها في الخلاصة ضمن الأسماء الإلهية أو يحيلها إلى العقل"^(٤)

"وهكذا بعد سرد منسوجات الصنعة الإلهية يسوق العقل إلى إكتناه حقائقها تفصيلاً فيقول: (لآيات لقوم يعقلون) آخذاً بزمام العقل إلى التدبر وموقفاً إياه إلى التفكير"^(٥)

إذا فالنورسي يؤكد على أهمية العقل كمصدر معرفي، وله حق تأويل النقل إذا وجد تعارض بينهما •

"ثم إن إفتعال معركة بين الشرع والعقل ليس في دين الإسلام، فلا تناقض بين الشرع

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٧٩٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات ص ٤٧١.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٤٧١.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٤٨٤.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٤٨٦.

والعقل، وصدق الله حيث يقول { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }^(١)،^(٢)

(١) سورة النساء، الآية رقم (٨٢)

(٢) أ.د / محمد سيد أحمد المسير: التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، ص ٧٠، بتصرف.
وهناك مؤلفات كثيرة حول هذه القضية منها: - فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال، لابن رشد

(٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) يقول فيه: - " فإننا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له "
- دره تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ)، نقلا من، التمهيد في دراسة العقيدة ص

التلازم والتوازن بين العقل والقلب

يبين النورسي أن المعرفة في " الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء التي تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته.

ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته. وإنما تتحرك بخطى العقل والقلب معاً وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى فتخلق إلى " أوج العلا ^(١).

ويؤكد النورسي أن القرآن الكريم هو الذي يقوم بإمداد العقل والقلب لتحقيق هذا التلازم وذلك التوازن، فيقول: " إن القرآن قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول ^(٢) لكي يشكلان اتحاداً متجانساً ومتوازناً يسمى اللب •

وذلك لأن " العقل والقلب هما بحكم نواة الإنسان ولبه، ويفضلها استطاع أن يصبح ثمرة الكون، ويملكان من القدرة على الانبساط والاتساع ما يمكنهما أن يطوبا العالم كله، رغم صغرهما فرأى السائح: أن القلوب والعقول برازخ إنسانيه بين عالمي الغيب والشهادة، فالعلاقات والعلامات بين ذينك العالمين - بالنسبة للإنسان - تجري في تلك النقاط •

لذا خاطب عقله وقلبه معاً قائلاً: " أقبل، فإن أقصر الطرق الموصلة إلى الحقيقة هي من بابكما، فهيا لنستفد بمطالعتنا العقول والقلوب المتصفة بالإيمان، ودراستنا كيفياتها وألوانها فهذا درس لا يؤخذ من الألسنة كما هو الحال في الطرق الأخرى ^(٣)

ويصرح النورسي في رسائله بأنه عايش وما زال حالة التلازم والتوازن بين القلب والعقل فيقول: " سلكت طريقاً غير مسلوكة بين العقل والقلب: إن عقلي قد يرافق قلبي في سيره فيعطى القلب مشهودة الذوق ليده العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة

(١) بديع الزمان النورسي: أنوار الحقيقة، ترجمة إحسان قاسم - ص ١٢٠ سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٦ م.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٤٣٧.

(٣) بديع الزمان لنورسي: الشعاعات، ص ١٦٠.

المبرهن التمثيلي^(١) وبهذا " صار عقلي ممزوجاً بقلبي " ^(٢) و " ساعياً بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل في حماية القلب " ^(٣) وكل هذا يتحقق " بطراز برهاني قرآني بمتزج فيه العقل والقلب معاً " ^(٤) ويرى النورسي كذلك أن الحصول على المعرفة اليقينية والعلوم النافعة يستدعي الامتزاج بين العقل والقلب لإجلاء الحقائق، فيقول: " إن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجها تتجلى الحقيقة " ^(٥).

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٦٦ وأنظر - المثنوي العربي، ص ٤١٣. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ١٦٨.

(٣) المرجع السابق نفسه: ص ١٦٩.

(٤) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص ١١١.

(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٢٨.

الإلهام

الإلهام في اللغة: التلقين، تقول: ألهمه الله الخير، أى لقنه إياه.

وجاء في القرآن قوله تعالى: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} ^(١)

وعرفه ابن سينا: بأنه ما يلقيه العقل الفعال في نفس الإنسان المؤيدة بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية ^(٢)

وقول ابن سينا "المؤيدة بشدة الصفاء وشدة الاتصال" هو ما عبر عنه النورسي بـ "الإلهامات الصادقة" ^(٣) التي لا تختلط فيها "الإلهامات والوساوس" ^(٤) فتجعلهم "يتلبسون أحياناً حالات خارجه عن طور العقل والمحاکمات المنطقية" ^(٥).

"أما الإلهام في عرف الصوفية: فإنه النفث في الروح، والإيقاع في القلب من العلم غير القائم على الاستدلال والنظر.

وظهور هذا العلم لدى الإنسان يسمى: إشراقاً، وكشفاً، وذوقاً، ويسمون الموطن الذى يقع فيه الإلهام ويظهر فيه الإشراق: بالبصيرة، ويعتبرونها إحدى مصادر المعرفة" ^(٦)

والنورسي يرى "أن جميع" الإلهامات "الغيبية التي ترشد قلوب الناس وتفقهها بالعلوم والحقائق وتعلم الحيوان الاهتداء إلى توفير ما يحتاجه من حاجات... هذه الإلهامات الغيبية بأنواعها المختلفة تُشعر كل ذى بصيرة بوجود رب رحيم وتشير إلى

(١) سورة الشمس: آية رقم (٨)

(٢) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الدينى والفلسفي، ص ٢٢٩، نقلاً من القاموس المحيط فصل اللام، باب الميم، وأنظر، (المعجم الفلسفي) (١/ ١٣١).

(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٦٣.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٢٠٦.

(٥) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٤٤١، ٥٨٨-٥٩٠.

(٦) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الدينى والفلسفي، ص ٢٢٩، نقلاً من معجم مصطلحات الصوفية، ص ٢٣.

ربوبيته^(١)

وبالتأمل في النص السابق نجد أن النورسي يقول: "الإلهامات الغيبية" وذلك لسد الطريق " أمام شطحات بعض المتصوفة الذين يشبهون إلهاماتهم بأنها وحى وكلام من الله^(٢) " ويصف النورسي حالهم هذا بأنه من أخطر المهالك، ويرجع السبب في ذلك إلى: " أن المعاني الجزئية التي ترد على قلب السالك بشكل إلهام، يتخيلها - هذا السالك - كلام الله، ويعبر عن كل إلهام وارد به " آية " فيمتزج بهذا الوهم عدم احترام لتلك المرتبة السامية العليا للوحي..

نعم، إن كل إلهام ابتداءً من إلهام النحل والحيوانات، إلى إلهام عوام الناس، وإلى إلهام خواص البشرية، وإلى إلهام عوام الملائكة، وإلى إلهام المقرين الخواص منهم، إنما هو نوع من الكلمات الربانية.

ولكن الكلام الرباني تجلى الخطاب الرباني المتنوع المتلمع من خلال سبعين ألف حجاب حسب قابليات المظاهر والمقامات.

أما " الوحي " فهو الاسم الخاص لكلام الله جل وعلا، وأبهر مثاله المشخص، هو الذي أطلق على نجوم القرآن، وكل منجمة منه " آية " كما ورد توقيفاً.

فتسمية هذه الأنواع من الإلهامات بـ " الآيات " خطأ محض^(٣).

" أما مائر الكلمات الإلهية (أي الإلهامات): فإن قسماً منها كلام نابع باعتبار خاص وبعنوان جزئي، وتجل جزئي لاسم خصوصي، وربوبية خاصة، وسلطان خاص ورحمة خصوصية.

فدرجات هذه الكلمات مختلفة متفاوتة من حيث الخاص والكلّي، فأكثر الإلهامات من

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٧٨٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: أنوار الحقيقة (مباحث في التصوف والسلوك) ص ٩٠، ترجمه إحسان قاسم،

سوزلر القاهرة، ٢٠٠٦م

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص ٥٧٨.

هذا القسم إلا أن درجاتها متفاوتة جداً.

فمثلاً: إن أبسطها وأكثرها جزئية هي إلهام الحيوانات، ثم إلهام عوام الناس، ثم إلهام عوام الملائكة، ثم إلهام الأولياء، ثم إلهام كبار الملائكة.

ومن هذا السر نرى أن ولياً يقول: "حدثني قلبي عن ربي" أي بهاتف قلبه، ومن دون وساطة ملك، فهو لا يقول: "حدثني رب العالمين" أو نراه يقول: "إن قلبي عرش وعرش وعرش وعرش عاكسه لتجليات ربي" ولا يقول: "عرش رب العالمين" ^(١)

إذاً، فرغم أن النورسي يؤكد على الإلهام كمصدر للمعرفة، إلا أنه لا يرتضي به كمصدر وهو معزج بوساوس الشيطان والمزالت.

ولهذا أراد أن يوضح المسار الصحيح لهذا المصدر ليثمر الغاية الصحيحة المرجوة منه.

ويؤكد النورسي "أن الإلهامات الصادقة مع أنها تتشابه - من جهة - مع الوحي من حيث أنها نوع من المكالمات الربانية، إلا أن هناك فرقين:-

أولهما: أن معظم الوحي الذي هو أسمى وأعلى من الإلهام بكثير، إنما يتم بوساطة الملائكة بينما أغلب الإلهام يتم دون وساطة...

الثاني:- أن الوحي صافٍ " ودون ظل، خاص للخواص •

أما الإلهام ففيه ظل واختلاط ألوان، وهو عام وله أشكال متنوعة ومتفاوتة جداً، كإلهامات الملائكة وإلهامات الإنسان، وإلهامات الحيوان، وهي بأنواعها المختلفة وأشكالها المتباينة جداً تبين مدى سعة وكثرة الكلمات الربانية " ^(٢)

ويرى الإمام النورسي أن في الإنسان استعداداً فطرياً للتعامل مع الإلهام باعتباره مصدراً للمعرفة مثله مثل باقي المصادر (الوحي، والكون...) التي يتكامل معها ويستفيد منها بما زوده من العقل والحواس واللطائف •

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٦٣، ١٦٦. بتصرف.

ولذلك يسمى الإلهام بأنه الحدس المضاعف ١

"والحدس: هو سرعة انتقال في الفهم" (١)

وأهم ما نستطيع خلاصته (بلمحة سريعة) من الفصل الرابع، هو ما يلي:-

- لقد عاصر النورسي فترة هي أخطر فترات التاريخ علي المجتمع التركي، إذ رأى أن أخطر منزلق تنحدر فيه الأمة إلي الهاوية، هو الجهل والانعدام المعرفي وتوسيع الهوة بين الدين الإسلامي وبين الغرب، مما أدى إلي اعتقادهم بأن مبادئ الإسلام تتناقض مع حقائق العلم والمعرفة.

هذا بالإضافة إلي ما قام به النظام بعد إلغاء الخلافة من طمس ومحو ما هو راسخ في عقول الأفراد من تعاليم الدين، وخاصة الناشئة، وتشكيكهم في وجود الله ومعرفته، ومسح أي معرفة إيمانية.

لهذا وغيره رأى النورسي أن قضية المعرفة من أهم القضايا المركزية في رؤيته التجديدية، لأن معالجتها وصحوة العقل من كهفيته المطبقة، هي المدخل الطبيعي لإعادة التوازن إلي شخصية الأمة.

ومن خلال البحث في النصوص المستخلصة والمستخرجة من رسائل النور نستطيع أن نقف علي مفهوم المعرفة عند النورسي، وهي لا تخرج عن معرفة الله ويجعل الإيمان ملاصقاً وملازماً لها، حيث أنه لا يتصور إيمان بدون معرفة أو معرفة بدون إيمان.

- يشترك النورسي مع الأئمة الذين نقدوا علم الكلام من أمثال أحمد بن حنبل والغزالي وابن رشد وابن تيمية وجلال الدين الرومي، وغيرهم من العلماء والمفكرين والصوفية، الذين شنككوا في قيمة الكلام كمنهج يقود إلي معرفة الله الكاملة.

كما أنه لا يرتضى بالمنهج الصوفي كطريق يقود إلي معرفة الله لأنها معرفة ناقصة ومبتورة.

(١) بديع الزمان النورسي: المثوي العربي، ص ٤٣١.

أما موقفه من المعرفة الفلسفية: فإنه يرفض الأخذ بالمعرفة الفلسفية المادية التي لا تتوافق مع المعرفة القرآنية، ويدعوا إلى مشاهدة ثروة القرآن المعرفية وغناه الواسع لبناء نوع من المركزية المعرفية الإسلامية.

ويؤكد النورسي أن هذا لا يلغي دور الفلسفة الحديثة في مضمار البناء المعرفي الحضاري، ولا يسد باب التلاقح الفكري والتفاعل المعرفي، لاسيما تلك التي تتماس مع الحقيقة العلمية، وهو ما يجعلها تتلاقى مع تحفيزات القرآن فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

- يسير النورسي بتوافق تام مع ما قرره الإسلام من إمكان المعرفة، وتأكيده على وجود الأشياء والموجودات، وقبوله الشك المنهجي - في ضوء ما قرره الإسلام - الذي يبدأ به الإنسان من أجل الوصول إلى المعرفة الحققة.

ويؤكد النورسي على أن الذين ينكرون المعارف سقطوا في حضيض الحماقة والجهل والضلالة، وأساءوا إلى إنسانية الإنسان المكرم.

هذا بالإضافة إلى رفضه إلى الشك المطلق، الذي يؤدي بالإنسان إلى اليأس والقنوط، مما يجعله مسخاً لا حراك له في الحياة.

- يتلاقى النورسي مع معظم المفكرين والعلماء المسلمين في انشاقهم على أن أعم مصادر المعرفة التي ينالها الإنسان هو " الوحي " الذي يكشف للإنسان حقائق ما كان ليصل إليها بدونه.

ويرى النورسي أن أفضل معراج للوصول والعروج إلى عرش الكمال (وهو معرفة الله تعالى) هو المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، وهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله واشمله لبنى الإنسان.

وهو بهذا يدعو المسلمين والعقلية الفلسفية المسلمة إلى البحث والتنقيب في خزون المعرفة القرآنية، بدلاً من الانغماس والسير في ركاب الفلسفة اليونانية دون غيرها، وإعمال ما لدينا من معرفة موحى بها من عند الله تخاطب العقل والقلب، وتنطلق من الكون والإنسان والربط بينهما في العديد من الآيات، إلى كونها قدر كبا بشكل يجعلهما " مناظرين

" لما يمكن أن نجبر به القرآن من أمور غيبية.

كما يلفت أنظارنا إلى طريقة المنهج القرآني في المعرفة، ومن أهمها ضرب الأمثال والتي استخدمها النورسي في رسائله، ويعترف بأنها نعمة أنعمها الله عليه وذلك لأنه بهنظار ضرب الأمثال يمكن: إظهار الحقائق البعيدة أنها قريبة جداً واختراق الأبعاد في مختلف الاتجاهات والحدود والحواجز... وغيرها مما اشتملت عليه ضرب الأمثال من دلالات وخصائص اقترنت بها، وهي تجمع بين القوة والتساند والتدرج والتواصل والشمول.

- من خلال البحث في رسائل النور، نرى أن النورسي يعطي الأنبياء - وهو يستعرض وظيفتهم - مهمة التنوير والمعرفة وهداية الناس إلى ما يحققون سعادة الدنيا والآخرة، وينظر إلى شخصية النبي المعنوية باعتبارها شمس الكائنات، والسراج المنير للخلق أجمعين، لأنه يضيء الطريق للإنسانية من أجل الوصول بهم إلى معرفة الله. كما يتجلى أن أبرز الوظائف التي يسندها النورسي للنبي هي أنه معرف وموصل إلى معرفة الله.

- يستعرض النورسي في رسائله الآيات الكونية لاشتغالها على البراهين الدالة على معرفة الله ووحدانيته، وأن الكون فتح أفاقاً أرحب ونوافذ أسطع إلى معرفة الله. والنورسي ينوه إلى الكون باعتباره كتاب صمداني، ينطوي على معاني عميقة وغزيرة، يجب التعرف عليها، ليستقي منها الإنسان ما يوصله إلى معرفة الله مع الحذر وعدم السقوط في مستنقع الكون وتأليه الطبيعة.

ولهذا فإن النورسي يوجه نظر الإنسان في كل مكان وزمان إلى استقراء الدليل الكوني بمنهج قرآني، وذلك لترابط القرآنين " المقروء والمنظور " وتسندهما وتعاونهما، في أن يفسر كل واحد منهما الآخر، لإيضاح الصورة المعرفية الصافية.

- يسير النورسي على حقيقة ما أقره الشرع وأتفق عليه الفلاسفة المسلمون باعتبار العقل مصدراً من مصادر المعرفة.

وتكتنز رسائل النور بمدح العقل، وكونه آية من آيات الله وأنه " أئمن نعمة " وهو "

مفتاح الكثر " المعرفي، وعلامة تميز الإنسان عن سائر الكائنات... بل إن العقل هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها.

ويتجلى موقف النورسي من العقل بتأكيدهِ على ما قرره الشرع وتوافقٍ عليه علماء المسلمين جميعاً من ارتكاز التكليف على العقل.. وأن سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه.

كما يتفق النورسي مع الإمام الشاطبي ومحمد عبده ومحمد الغزالي على مسألة معقولة الحقائق الإسلامية، وهي أحد الأمور الجوهرية التي تفصل بين الإسلام والنصرانية في علاقة كل منهما بالمعرفة والمدنية.

كما يتلاقى النورسي مع غالبية العلماء والفلاسفة المسلمين (قديمهم وحديثهم) بتوافق وتلازم النقل والعقل وعدم معارضتهم، فالشرع يسير في طريق العقل... والعقل يسير بنور الشرع، فالعقل مع الشرع نور على نور.

ويؤكد النورسي بأنه إذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلاً ويؤول النقل ولكنه ينفرد عن سابقه بأنه حدد خصائص ومواصفات هذا العقل الذي له حق تأويل النقل، وهو ما نستطيع أن نسميه "العقل الإياني" أو كما يسميه النورسي "العقل القرآني".

- يرى النورسي أن في الإنسان استعداداً فطرياً للتعامل مع الإلهام باعتباره مصدراً للمعرفة، ويتلاقى مع ابن سينا في تعريفه للإلهام.

ورغم أن النورسي يقر بالإلهام ويقدمه كمصدراً للمعرفة، فإنه يعرض ويقدم هذا المصدر برؤية تختلف اختلافاً جذرياً عما هي عليه عند الصوفية حيث أنه رأى أنهم قد شوهوا هذا المصدر بشطحاتهم وخلطهم.

وهذا ما دعاه لان يطرح في رسائله إطاراً محدداً وتصوراً مصوناً يحمي به هذا المصدر ليؤدي دوره كمصدر معرفي بعيداً عن الشطحات والمفاهيم المعكوسة، وذلك من خلال قوله: "الإلهامات الصادقة" وقوله "الإلهامات الغيبية" وذلك من أجل سد الطريق أمام شطحات بعض المتصوفة، الذين يشبهون إلهاماتهم بأنها وحى وكلام من عند الله، وهذا ما يتميز به النورسي.

ومن أجل الإيضاح وعدم الخلط فإنه يقوم ببيان الفرق بين الإلهام والوحي.

إذاً فرغم أن النورسي يؤكد على الإلهام كمصدر لمعرفة الخالق، إلا أنه لا يرتضي به كمصدر وهو ممزوج بالوساوس الشيطانية والمزالق والخلط المشين ولهذا أراد أن يوضح المسار الصحيح لهذا المصدر ليثمر الغاية الصحيحة المرجوة منه.

- يتضح مما سبق أن النورسي أراد أن يقيم عدة مرتكزات معرفية لكي تكون سلباً يرتقي عليه الإنسان المسلم إلى أعلى درجات الإيمان والمعرفة اليقينية، ولكي تصل به إلى الازدهار والتقدم المعنوي والحضاري الذي يليق به كإنسان مسلم.

ويبدو لي أن أهم هذه المرتكزات (المعرفية) وأبرزها هي ما يلي:-

- المرتكز المعرفي الكوني للاستخلاف، وذلك بربط حركة الإنسان الخليفة بالكون ودعوته إلى التأمل والسير في الأرض واستعمارها وتسخيرها في تحقيق الأمانة.

- المرتكز المعرفي التوحيدي، وذلك بربط الإنسان الخليفة بخالقه، وجعله متصلاً بالله سبحانه وتعالى.

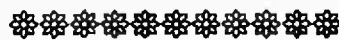
- المرتكز المعرفي الحضاري للاستخلاف، وذلك بتوجيه الإنسان الخليفة إلى الجمع بين متطلبات الجسد والروح... والواقع والمثال.

- المرتكز المعرفي الأخروي، وذلك بربط حركة الإنسان الخليفة بالجزاء الأخروي المضمون في حالة استقامته على الطريقة، وحمله الأمانة على وجهها الصحيح، وهذا المرتكز هو الذي يقدم الدعم النفسي والمعنوي للإنسان، عندما يضمن له ثمرة جهاده ويحثه ونتيجة عمله للصالحات.

أسأل الله القبول والإخلاص في القول والعمل.

وعلى الله قصد السبيل، انه بالإجابة جدير، وهو على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الخاتم الأمين.



الخاتمة

النتائج التي انتهت إليها أبحاث الرسالة

- ١- إن نشأة النورسي وتربيته في أسرة تتسم بالورع والتقوى والتمسك بأحكام الشرع الحنيف وفي بيئة نقية تحافظ على القيم والمبادئ والتقاليد، كان لها أكبر الأثر في تكوين شخصيته المتزنة الهادفة لحب الخير والانضباط والالتزام في الفعل والسلوك، واتصافه بالأخلاق الفاضلة الحميدة والقناعة والرضا وصونه عزة العلم بعدم النظر إلى الحرام، هذا بالإضافة إلى شجاعته ووسائله وجهاده.
- ٢- ظهور ملامح النبوغ والذكاء على النورسي منذ الصغر، وسعيه لتحصيل العلوم الدينية والحديثة، مما جعله يحوز على إعجاب وثناء الجميع من العلماء والمتعلمين ويحوز على الكثير من الألقاب.... أشهرها بديع الزمان.
- ٣- أهمية دور الأسرة في رعاية النشئ، وخاصة حرصهم على تحفيظهم لكتاب الله لكونه يحتوي على مخزون علمي ومعرفي لا حصر له، مما يكون له أكبر الأثر في توسيع مدارك الإنسان منذ الصغر، كما حدث مع النورسي.
- هذا بالإضافة إلى الدور المعرفي والتأثير البارز الذي غرسته أمه في نفسه في مرحلة الطفولة، وهو ما اعترف النورسي عنه، بأن بداية تحصيله العلمي والتي كانت كالنقش على الحجر، وكانت الشرارة المعنوية الأولى التي أشعلت نور المعرفة، وأظهرت الحقائق العظيمة، فإنها كانت على يد والدته.
- ٤- إن الظروف التي كانت تمر بها تركيا من قلاقل واضطرابات سياسية، وما نتج عن ذلك من تفشي الجهل والخرافات (حتى بين من يسمون بالمتعلمين) وخاصة في أطراف البلاد وقراها، لم يمنع سعيد النورسي من التواصل مع الثقافات الأخرى، فهو لم يقف مكتوف الأيدي وقانعاً بما يدفع إليه من ثقافة يستقيها، ولكنه حطم قيود العزلة وبحث عن كل ثقافة تروي ظمأه، تسكيناً للعقل المتعطش للعلم والمعرفة، وتهذبة للنفس التواقعة للاستكشاف والاستطلاع.
- ٥- ترك النورسي مخزون ثقافي وعلمي سطره تحت مسمى "رسائل النور" وهي

مستمدة من منهل القرآن الكريم، الذي كان رفيقة في حله وترحاله، لكي تنير الطريق وترشد الحائرين، كما أنه عالج في كليات رسائل النور قضايا كثيرة تهم المسلمين والمجتمعات الإسلامية.

كما أن تفكيره الذي سجله في رسائله ينطلق من ثوابت ومعايير قرآنيه، وبأساليب تجديدية تواكب العصر وتشد الإنسان إلى المعرفة الصحيحة، وإلى حسن التعامل مع قضايا عصره.

ومن خلال كليات رسائل النور استطاع النورسي أن يوقف نزيف المد الإلحادي الغاشم وأن يقطع الطريق أمام الساسة المعادين للإسلام ويلزمهم الحجة، وقضى على الدعايات المغرضة الظالمة التي يشيعها أهل الضلالة، وألجأهم إلى التقهقر والاستسلام، وأظهر نور التوحيد.

كما أنه استطاع من خلال رسائل النور تغيير الكثير من المخططات العدائية للإسلام وإجهاض القرارات التي أرادت طمس العقيدة وثوابتها، ومنها: ترجمة القرآن والأذان باللغة التركية بدلاً من العربية... وغيرها من المخططات العدائية، وهذا يبرز دور رسائل النور وفاعليتها في مواجهة الظلم والاستبداد، وتغيير المفاهيم المغلوطة.

٦- استطاع النورسي رغم الأحداث الذي تعرض لها أن يجسد من رسائله مدرسة تضم الكثير من طلاب النور (من جميع الطبقات والفئات) ليشكل جسداً واحداً على شكل هرمي، يتلازم (النورسي، ورسائله، وطلابه) كل منها بالآخر، وهو ما أطلق عليه النورسي الإنسان الكامل، مما جعل دور حركة النور التي ظهرت على يد النورسي، أن يكون لها الدور البارز، وجعلها من أهم الحركات الإصلاحية الإسلامية في تركيا، وأغزرها فكراً، وأعمقها تأثيراً.

وذلك لأن النورسي استطاع أن يفرس فيهم أفكاره وآراءه النابعة من منهج القرآن ويقدمهم للمجتمع والإنسانية كبضاعة ألماسية، وكنموذج صالح اكتمل بنيانه، لينوبوا عنه في أداء الرسالة ونشرها، ويتحملوا المسؤولية في غرس العقيدة وتصحيح الأفكار الضالة، وهذه من أهم الأشياء التي ينبغي لكل مصلح ومجدد أن يراعاها ويتولاها بالاهتمام، حتى لا تندثر أفكاره بعد وفاته ولا تجدد من يتولاها بالرعاية.

٧- عاصر النورسي مرحلتين متغايرتين ومتبايتين كل التباين في المبادئ والأهداف

سياً واجتماعياً وثقافياً، وتمثل المرحلة الأولى: الخلافة العثمانية وسقوطها.

وتمثل المرحلة الثانية: الجمهورية التركية العلمانية ومخططاتها.

وشاهد بأمره ضرب المشروطية الأولى بالغايتها، وضرب المشروطية الثانية بتشويها من قبل أصحاب الاتحاد والترقي بإظهارهم أنها مخالفة للشريعة، وأن الشريعة تعين الاستبداد، مما دفع النورسي لهجومهم ودحض مخططاتهم الخبيثة وتشويههم صورة الإسلام.

وهذه الأحداث وغيرها... كان لها تأثيرها الكبير على حياته، وكانت المحرك له للنهوض في الناس بدعوته الإصلاحية التجديدية، وكسر قيود الاستبداد وانتعاش الحرية، وترسيخ أسس العقيدة وأركان المعرفة.

٨- يعتبر النورسي واحد من أعلام الترك المصلحين والمجددين في الفكر الإسلامي والذين قاوموا الكفر والإلحاد والاحتلال، وكشف عن مؤامراتهم الاستعمارية وحارب أطماعهم.

ويظهر ذلك جلياً من خلال تفاعل مفكرنا مع التغيرات التي قام بها نظام الدولة ومن معه من الساسة المعادين للإسلام بعد سقوط الخلافة الإسلامية بإكراه النساء على عدم لبس الحجاب، وإجبارهن على التبرج، مع نشر جو من الإرهاب والاستبداد الفكري الصارم، والتهديد بالسجن والتعذيب للعلماء ورصد تحركاتهم، ومراقبة من يتحدث عن الخلافة، وفرض لبس القبعة إجباراً وعدم لبس الطربوش، ومحاولة ترجمة القرآن وإلغاء الآذان باللغة العربية، وإلغاء الشريعة واستبدالها بالقانون السويسري، وغلق أكبر مسجدين في تركيا، وعدم السماح بحرية العقيدة للمسلمين، وإشاعة التعاملات الربوية، وبيع الخمر، وانتشار الفسق والفجور باسم الحرية... هذه وغيرها من التغيرات والقرارات التي أراد النظام من خلالها تقليد كل ما هو غربي، ومسح وتغيير كل ما هو إسلامي.

ومع كل ذلك لم يستطع النورسي أن يكون سلبياً أمام هذه التغيرات الإجبارية الاستبدادية ويقف مكتوف الأيدي أو معقود اللسان، بل واجه التغيرات التغريبية الإلحادية (فكرياً وثقافياً وعقدياً وسياسياً واجتماعياً....)، بل حتى في الملبس واللغة) التي أحدثها النظام وأراد فرضها على المجتمع التركي.

كما سعى النورسي على الحفاظ على الثوابت الإسلامية.
كما أنه أنبرى يدافع عن الحرية، وعن حضارته وقيمه وتراثه، ومستخدماً في ذلك كل الأساليب والأدوات.

٩- تنوعت وتعددت وسائل وأساليب النورسي في نشر أفكاره وآرائه لكسر حواجز الاستبداد، وكشف عور الساسة، وترسيخ الحرية الشرعية ونشر المعرفة، بالتوجيه والإرشاد لدى الخاصة والعامة على السواء، وإلقاء الخطب والمحاضرات والمحاوورات والمناظرات، وسعيه من أجل إنشاء المدارس والجامعات، ومساهمته في نشاط الجمعيات والمحافل العلمية الخادمة للإسلام، وعقد المؤتمرات والندوات وكتابه للمقالات.

فقد سلك في كل ذلك أسلوباً مؤثراً، خاطب به العقل والقلب والوجدان، مقتضياً بذلك أسلوب القرآن الكريم، مع التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

ويتجلى الهدف الأكبر من وراء أساليبه ورسائله ومسلكه هو تحرير المجتمع من قبضة الأفكار الضارة والسامة الهدامة، والتي يريد النظام والساسة المعادين للإسلام وللمبادئ والأخلاق، أن يسقطوا فيها الإنسان الحر المكرم.

وسعى النورسي لتحقيق ذلك، بإظهار الحقائق الإيمانية عن طريق الإيضاح وإزالة اللبس لدى طلابه، وتفنيده شبه الملحدين وشبه غير المسلمين، وكشف الحقيقة لدى المسؤولين إعداراً لهم، وإظهار حقيقة دعوته في دفاعاته أمام المحاكم، وتصحيح الأفكار والمفاهيم التي ييثرها الخبثاء بين أفراد المجتمع.

١٠- ابتعد النورسي عن سياسة المواجهة (العنيفة) التي اتبعها الأفغاني، وبعض الحركات الأخرى كالسنوسية والمهدوية والوهابية، ولكنه اتبع سياسة الالتفاف الحكيمة حول التدني والخطية الروحية والمقاسد الخلقية والهوان الحضاري والإستيلاب المقيت واللافاعلية البنائية، وتحلى لكل طور منها بألوان من البيان المعرفي والمسلكي، ووقع اختياره للقرآن كسلاح أساسي واستراتيجي في الدفاع وصد الهجمات الموجهة ضد القرآن والمسلمين.

كما أنه جعل منذ المنطلق خط فاصلاً بين منهاجه القرآني ومنهاج السياسيين الذين تدور سياستهم في فلك الغرب، ويجعلون الدين في المرتبة الثانية أو الثالثة (إن وجد) وهذا ما دفعه للتصريح بالاستعاذة بالله من الشيطان والسياسة، وهذه الاستعاذة لا تصل إلى صحة القول بأنه ابتعد عن السياسة نهائياً، أو أنه ليس سياسي حتى وإن كان القائل بذلك النورسي نفسه، فحياة النورسي التي وهبها لأمته (بما فيها عزوفه عن الزواج) ومؤلفاته، تؤكد بتواجد النورسي الحقيقي والفعلي والواقعي، ووجود موقف سياسي أصيل له تجاه الأوضاع السائدة في تركيا، وإلا ما قامت السلطة بحجسه ونفيه وعزله أحياناً، ومحاكمته واضطهاده أحياناً أخرى.

ومما يؤكد ذلك: هو عدم قناعة السلطة والساسة بموقفه وتصريحه أنه بعيد عن السياسة وأنه ليس سياسياً، حيث عرفوا من خلال ضرباته الموجهة لهم، والموجهة من جميع القواعد والأماكن التي يرى فيها النورسي أن بها خللاً ما، أنه يستعمل معهم سياسة الالتفاف الحكيمة، أو ما نستطيع أن نطلق عليه "الدفاع الاستراتيجي" ويستخدم معهم مبدأ "الحرب خدعه".

١١ - يلفت البحث النظر إلى آراء النورسي الإصلاحية، والتي يتضح فيها أنه كان واقعياً وعملياً، ومفكراً لملاحاً وذواقاً، حين جعل من أولى اهتماماته ومركزاته إصلاح الفرد والجماعة، وهو ما يؤكد التوافق في الفكر والرؤى بين الإمام محمد عبده والنورسي وابتعاد هذا التوافق مع جمال الدين الأفغاني.

وتتضح رؤية النورسي الرافضة للإصلاح الفوقي الذي يبدأ من السلطة، لما سيتولد عنه مشاكل لا حصر لها، وخاصة إذا كانت الآراء الإصلاحية لا تتوافق مع أهداف ورؤى وأطماع الساسة وتتعارض معهم، وإن كان هذا لا يتنافى مع إسداء النورسي بالنصيحة للحكومة من أجل الإصلاح كما حدث حين ذهب إلى السلطان عبد الحميد لإنشاء جامعة الزهراء لنشر العلم وإزالة الجهل، وكما حدث حين ذهب إلى أنقرة وخطب في البرلمان ناصحاً أعضائه بالمواظبة على الصلاة.

ويسير النورسي في منهجه الإصلاحي على المنهج الإسلامي المعتدل الصحيح القائم

على الإقناع والموعظة بالتي هي أحسن.

ويرفض النورسي منهج الحركات الإصلاحية الثورية (التخريبية) لأن ذلك يضر بالأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم، ويؤيد الحركة الإصلاحية المعنوية التي تقوم على إرشاد أفراد المجتمع وتنويرهم.

ونلفت في هذا البحث بلمحة إلى المرتكزات والأسس التي ينطلق النورسي منها في حركته الإصلاحية، والتي يبدأها بإصلاح القلب، لقناعته أن التخريب قد بدأ في القلب، ثم يشرع إلى عمومية الإصلاح لجميع الفئات والطبقات من شيوخ ورجال ونساء وأطفال، وحتى المسجونين.

وعلى الرغم من اهتمام النورسي بإصلاح الفرد، فإن هذا لا يعني اهتمامه بالفرد فقط وكأنه جزيرة منعزلة، ولكنه يهتم بالفرد في داخل سياقه الجماعي.

ولعل الأهم، هو وضعه أسس لوحدة الجماعة الإسلامية والإنسانية في العالم، وهذه الأسس هي أحوج ما نحتاج إليه الآن لإرساء المحبة والأخوة والألفة، وإنهاء حالة التشرذم والصراعات.

١٢- يلفت البحث النظر إلى موقف النورسي من الفلسفة، والتفكير الفلسفي والفلاسفة، والموازنة بين ثمرات القرآن وثمرات الفلسفة، ومن خلال ذلك نستتج: أن النورسي يهاجم الفلسفة والفلاسفة الماديين الإلحاديين بنعوت قاسية، ويسفه آرائهم ومناهجهم القائمة على مسطرة اللادين.

ولكنه يؤيد ويحث على التفكير الفلسفي بعقل إيماني قرآني.

ومن خلال استعراضنا لموقف النورسي من الفلسفة نستتج عدة أمور، أجد من المهم (من وجه نظري) عرضها، وهي كما يلي:-

- أن النورسي سعى من خلال موقفه الرافض للتيارات الفلسفية المعادية للدين إلى صد التأثيرات السلبية لهذه التيارات لخطورها على العقيدة وعلى واقع المجتمع، هذا من ناحية.

ثم سعيه لإزالة التأثير السلبي الذي علق بعقول بعض المثقفين، فنتج عنها أفكاراً ضارة، وأرادوا رواجها.

- أن الفلسفة هي نمط للتفكير، ويتشكل محتواها من الأفكار التي يصنعها الفيلسوف بعقله ويتأثر باعتقاداته، والفلسفة بذاتها ليست محرفة، بل العكس إن الذي يفهم الفلسفة جيداً ويعرف أفكار الفلاسفة بشكل جيد يستطيع مجابهة الأفكار المنحرفة بالاستناد على ذلك.

كما أن الفلسفة طورت الفكر أكثر من تشييتها للعقل البشري، وفتحت الطريق إلى الأفكار والآراء والنظريات والاكتشافات الجديدة، ولو لم تحدث أفكار مختلفة لما استطاع النورسي نفسه أن يطرح الأفكار الجديدة.

والنورسي نفسه أعلن قبوله دستور "تعرف الأشياء بأضدادها" لذا نرى أن الآراء المختلفة والمعارضة وحتى الآراء المنحرفة هي التي تعرفنا بقيمة آرائنا الصائبة.

- يبدو لي أنه ليس من الصواب مماثلة موقف النورسي بموقف الغزالي للفلسفة والفلاسفة (وإن كنا لا ننكر التشابه إلى حد ما) حيث أن نقد النورسي وموقفه يعني الفحص والفحص معناه تبيان الحقيقة، كما أنه احتاط في رأيه وحكمه حول الفارابي وابن سينا ولم يحكم بها حكم به الغزالي، بل وضعهما في إطار أنها مؤمنين... ولكن عاديين.

- يبدو لي أن طرح النورسي "لسلسلة النبوة" تجاه "سلسلة الفلسفة" وموازنته بين "ثمرات القرآن" و "ثمرات الفلسفة" كان من الأفضل عدم القيام به، لأن المقايضة تتطلب المماثلة، وهذا غير متوفر وغير موجود، ولو لم يقم بهذا الطرح لكان أفضل، وذلك لأن سلسلة النبوة والقرآن مصدرهما إلهي مباشر، ويضمون أوامر ونواهي الوحي، وماهيتهم مختلفة، وليس للعبد أو العقل البشري أثر فيها ولكن كل ما يتعلق بالفلسفة هي أثر العقل البشري على الأغلب، وعندما يتفلسف الإنسان يستطيع أن يقوم بتفقيها مع الأسس التي جاء بها الوحي، أو بالاستفادة منها.

أما إذا كان هذا الطرح من أجل إظهار وتقدير البديل (أي عن الفلسفة المادية الإلحادية والتي تؤله الطبيعة) من أجل البحث والتنقيب في القرآن وبيان أفضليته لكونه

يحتوى على مخزون معرفي، والبحث في الكون بمنظار قرآني، وذلك لبناء وتشيد صرح معرفة إسلامية، فإن هذا الطرح يعتلي قمة الصواب.

- يبدو لي أنه ليس من الصحيح أن النورسي ينكر الفلسفة، ومن أجل فهم النورسي الفهم الصحيح وإبعاد الظن بأنه ينكر الفلسفة، فإنه لا بد من فهم الدوافع، والنظر إلى الفلسفة التي يرفضها، والنظر إلى المرحلة التي عاش فيها، وخاصة مرحلة المشروطية الثانية، حيث بدأت تتغلغل مختلف التيارات المعادية للإسلام مما نتج عنه آثاراً سلبية على المجتمع التركي، وخاصة المثقفين منهم والساسة.

- أن نضع بعين الاعتبار عند التعليق على نظرة النورسي للفلسفة الأهمية التي أعطاها للعقل كمصدر من أهم مصادر المعرفة، ويتجلى ذلك في حثه على استخدام العقل في كلتا مرحلتين من حياته (سعيد القديم - سعيد الجديد) وطالب المسلمين خاصة بذلك لأن العقل هو أهم ما يميز الإنسان عن سائر الكائنات، كما أن القرآن حث على النظر والتفكير واستخدام العقل، وهو الذي جعل الإسلام يتميز عن غيره من الأديان

- إن الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعتها القوية، هي الفلسفة المضرة وحدها التي تردت في الضلال والإلحاد ومستنقع الطبيعة، وليس الفلسفة على إطلاقها، حيث أن قسم الحكمة من الفلسفة الإيجابية التي تخدم الحياة الاجتماعية للبشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد السبل للرفعي الصناعي فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن.... لذا لا تنصدي رسائل النور لهذا القسم من الفلسفة.

١٣ - اختط النورسي لنفسه طريقاً في التعامل مع الحضارة الغربية ليصبح في مصاف المجددين والمصلحين أصحاب العقلية الهادفة المستنيرة، بعيداً عن المتشددات الذين يرفضون كل ما هو غربي وغير إسلامي، ويبعداً عن السذج الذين انبهروا ببريق الحضارة الغربية القشري، ورقصوا وهتفوا لتضاهاتها.

أما النورسي فإنه رأى أنه ليس من العدل والإنصاف رفض هذه الحضارة رفضاً مطلقاً ولا قبولها قبولاً مطلقاً لأن التطرف في كلتا الحالتين مضر، حيث أعلن قبوله التعامل مع الحضارة الغربية (ولكن بحذر) والأخذ منها ما هو نافع ويوافق مبادئ الإسلام ورفض ما

وجده ضبابياً وملوثاً لأنه يخالف تعاليم الإسلام وبيئة المسلمين، وكل ذلك يتم بميزان الشرع بعيداً عن الأهواء والرغبات.

وبهذا يتوافق النورسي مع كثير من المصلحين والمجددين، ومنهم "الإمام محمد عبده والمفكر محمد الغزالي".

ولعل أهم ما يميز موقف النورسي من الحضارة الغربية ما يلي: -

- تصفية ذاته من أي أحكام مسبقة، حتى يكون نقده لهذه الحضارة نقداً موضوعياً ثم إلمامه بموضوع النقاش من جميع جوانبه وزواياه، حتى تتضح له الرؤيا بأكبر قدر ممكن، وهذا ما دعاه لدراسة أسباب نهضة أوروبا، وكيف وصلت إلى ما هي عليه، والأسس التي قامت عليها، ورصده لزوايا مختلفة منها لالتقاط مواقع الظلم والقيح والانحراف في أخلاقياتها الذميمة، ومظهراً البقع الرمادية والسوداء في جسدها.

- عدم حكمه على الحضارة الغربية بالجزافية والإطلاق، ولكنه قام بفرز ما هو صالح وقام بتجميد الضار، ويظهر ذلك جلياً من خلال محاورته للجانب الصالح في التعامل وهي أوروبا النصرانية، والتي اكتفى بالإشارة إليها في محاوره قصيرة دون تفصيل.

ثم محاورته المفصلة والتي لا تخلوا منها جميع الرسائل، وهي أوروبا التي ابتعدت عن الدين والأخلاق واستعبدت الناس بالأهواء والملذات والمنفعة، وتعفت بظلمات الفلسفة الإلحادية، وكل هذا من أجل تعريف الأجيال بالوجه الحقيقي بهذه المدنية منصفاً إياها، ومفرقاً في الوقت نفسه بين مساوئها ومحاسنها.

- سجل النورسي في رسائله أسس المدنية الحديثة، وأولى كل واحد من هذه الأسس جانب التحقيق والتأصيل والتفصيل، وألقى بظلال وارف من التوضيح لبيان الهدف الأسمى والغاية المثلى والدستور الأعلى الذي تهدف المدنية الحديثة إلى تحقيقه وتسخر كافة إمكانياتها وإنجازاتها من أجل تمكين مرتكزاتها وفرضها على العالم أجمع.

ثم يعقب النورسي موقفه العلمي الرصين للمدنية الحديثة بتقديم أسس المدنية البديل والأكمل والأشمل روحاً ومنهجاً ومضموناً ومالاً، وهي المدنية الإسلامية.

وهذا يعبر عن عميق فهمه لكل من أسس المدنية الحديثة... وأسس المدنية الإسلامية وما يترتب عليهما من مسائل وقضايا تحتاج من الباحثين والمفكرين والمعنيين البحث والتنقيب فيها.

- إن أبرز ما يشد الانتباه في موقف النورسي من الحضارة الغربية هو الربط الوثيق بين الحضارة والدين، وجعل الدين قاعدة مهمة من قواعد فكره ومركزاً أساسياً من مركزاته.

١٤- تتلاقى رؤية النورسي لعلم الكلام وتجديد العقيدة في النفوس، وربطه بقضية الإصلاح مع زعماء الإصلاح المحدثين في العالم الإسلامي.

ونظراً لأهمية علم الكلام أو العقيدة وحاجة المجتمع التركي للعقيدة الصحيحة فقد حمل النورسي على عاتقه بتحقيق هذا المطلب، بالكشف عن حقائق الإيمان وإحيائه في القلوب، والتصدي للشبهات، مع ربط العقيدة بالقيم الأخلاقية والأنماط السلوكية، من أجل تفعيل دورها في المجتمع، ولكي تؤدي وظيفتها في جميع مناحي الحياة ومواجهة المد الإلحادي.

وقناعة من النورسي بأهمية علم الكلام، رأى أن قناعته هذه لن تأتي ثمارها إلا من خلال تجديد هذا العلم وصياغته بما يتواءم وتحديات الواقع وحاجت العصر وتفعيل وظيفته بشقيها: إحياء الإيمان في القلوب... ورد الشبهات.

ومن أجل تحقيق ذلك نرى أن النورسي قام بأهم أمرين:-

- تنقية علم الكلام من التعقيدات اللغوية والتي يصعب على العامة فهمها، ثم تنقيته من المصطلحات التي اقتبسها علماء الكلام قديماً من الفلسفات اليونانية، وذلك من أجل تحويل مسار علم الكلام من علم مغلق... إلى علم مفتوح، ومن علم معقد... إلى البساطة والشمول.

- تفصيل الأهداف القرآنية حسب إدراك العصر وفهمه، وعلى ضوء العلوم بضرب الأمثلة وشرح الحقائق الإبرانية ومعرفة الخالق، ثم قيامه بإثبات أن الحقائق القرآنية تتطابق مع الحقائق الكونية وأن حروف كتاب الكون وآياته تشكل منابع الحقائق القرآنية.

ولعل اعتماد النورسي الكامل على القرآن جعل كثير من الباحثين والدارسين والمختصين أن يطلقوا على محاولته التجديدية " بعلم كلام جديد " أو " علم كلام قرآني " .

١٥ - قام النورسي بعملية مراجعة كبرى لرصيد الأمة من العقيدة وفق نظراً شمولية وتخطيط هادئ، فلاحظ أن التصوف الذي كان قائماً على تربية الروح وتطهير النفس الإنسانية، وتجسيد القيم الإسلامية الرفيعة، أصبح في العصور المتأخرة أسرع الميادين في الثقافة الإسلامية تعرضاً للانحلال، وعاملاً من عوامل التخلف وأصبح بعض دعاة التصوف معاول للانحراف والهدم، واصطبغ الدين بصبغة الجهل والتخريف، وتفضيلهم التقليد على الاجتهاد والابتكار، والاتجاه نحو الشعوذة والتدجيل، فكانت النتيجة أن يرغمي الجيل الجديد من الشباب المسلم في أحضان الثقافة المادية العلمانية، بل إن بعض الطرق الصوفية تحولت في أغلب الأحوال إلى مراكز لابتزاز أموال الأتباع والمريدين واستعبادهم وإلى أبواب لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية، وأضحى بعض المتصوفة يتجاوزون المنهج والمفاهيم، فأصبحوا ينزلون مفاهيم الفن الصوفي منزلة مفاهيم الوحي، التي سرعان ما تتحول فيما بعد إلى مفاهيم متأخرة على المفاهيم الصوفية، وهكذا فإنهم:-

- أنزلوا المجاز منزلة الحقيقة وقدموا المجاز عليها.

- وأنزلوا الولاية منزلة النبوة وقدموا الولاية عليها.

- وأنزلوا الباطن منزلة الظاهر وقدموا الباطن عليه.

- وأنزلوا الأوراد الصوفية منزلة الأذكار السننية وقدموا الأوراد عليها.

- وأنزلوا الإلهام منزلة الوحي وقدموا الإلهام عليه.

- وأنزلوا الكرامات منزلة المعجزة وقدموا الكرامة عليها.

لمثل هذه المواقف وغيرها، انبرى النورسي ليبرهن على عكسها، وهذا ما جعله يؤكد مراراً أنه ليس برجل تصوف، وأن رسائله تختلف عن كتب الصوفية والأولياء السابقين، ولكنها هي شرح لحقائق القرآن.

كما أنه بذل كل مساعيه من أجل اكتمال حرية الإنسان المسلم، عدم استعباد الفرد للفرد... بأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، وذلك من خلال رفضه ونقده لفكرة فناء المريد في الشيخ، وهذا ما جعله يستبعد أن تكون العلاقة بينه وبين أتباعه وطلابه من باب العلاقة بين الشيخ والمريد، لأن الشيخ لا يملك الحق ولا اليقين، وإنما الحق واليقين في البرهان.

وهكذا قتل النورسي الصنميات التي أحاطها الإنسان بالإنسان ليجعلها في البرهان كما أنه أزال فكرة تقديس الأفراد، من أجل ألا يسلب أحدنا حرية الآخر ويجعله أسيراً له، ومن أجل تفعيل دور العقل للوصول إلى معرفة الله، بعيداً عن الشطحات والخيالات التي قد يمسك بزمامها الشيطان فيردي صاحبها في هاوية الكفر.

ولهذا فإننا نستطيع القول أن أبرز دوافع النورسي لمعالجته للتصوف أمرين:-

- تحرير الإنسان من رق الإنسان.

- دافع معرفي.

ومن أجل تأسيس مذهب في السلوك، بنى النورسي منهجاً معرفياً جديداً يقوم على القرآن والسنة، كي يتحرك الإنسان بخطاهم، وهو منهج يتحد فيه العقل والقلب معاً. وهذا المنهج هو أسلم وأعم، وهو مستفاض من فيض القرآن ويمثل طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً من أجل الوصول لمعرفة الله، وهو:

طريق العجز... الفقر... الشفقة... التفكير

١٦- يتلاقى النورسي مع رفاة الطهطاوي والأفغاني وخير الدين التونسي وغيرهم من الزعماء الإصلاحيين الأحرار الذين يدعون للحرية، ويؤكدون أن الحرية هي إحدى القيم الإنسانية الكبرى، ودعامة هامة من دعائم الشخصية، وهي نقطة الانطلاق للتنظيم الاجتماعي المرغوب فيه، لدواعي الفاعلية والبناء والتقدم والازدهار.

كما أن النورسي تلاقى في كثير من جوانبه لمفهوم الحرية مع المفكرين والزعماء الإصلاحيين، ومن أهم جوانب هذا الالتقاء والتلامس: هو مفهومهم للحرية بأنها الحياة العزيزة الموافقة للشريعة، أي المبنية على أساس ومركزات ومبادئ الدين الإسلامي.

ولعل هذا هو جوهر التلامس.

إلا أنهم تباينوا في تصوراتهم لرسم وتطبيق مفهوم الحرية تبايناً قريباً وليس بعيداً.
١٧- يبدو لي أن مفهوم الحرية كان أكثر وضوحاً وظهوراً، واكتملت معالمه ونجلت صورته وأركانها عند النورسي أكثر من غيره من المصلحين.

إذ أننا لا نجد مفهوم الحرية عند الطهطاوي إلا تقريره ومماثلته بأن ما وجد من حرية في فرنسا ليس إلا العدل والإنصاف عندنا.

أما مفهوم الحرية عند خير الدين التونسي: فإنه اقتصر على عرضه لمفهوم الحرية السياسي

أما مفهوم الحرية عند الأفغاني: فإنها لا تستقر على حال، فتارة يعبر عنها بالحرية الشخصية، وتارة السياسية، وأوضح الصور عنده هو ربطه للحرية بالقومية والاستقلال.

أما النورسي: فإنه وضع مفهوم الحرية في إطار متكامل ومفصل وقائم على أسس ومركزات أهمها: الحرية المتأدبة بالقيم والأخلاق، وليست الحرية المنفلتة الفوضوية التي لا تقيم حساباً لغير الذات والأهواء الفردية، والتي ترتقي بقيم الانحراف والشذوذ.

ومن أهم مرتكزاتها كذلك أنها حرية تابعة من مبادئ الإسلام، وليس قياساً أو اقتباساً من غرب أو شرق.

ضف إلى ما سبق حرص النورسي على وضع الحرية في إطار الشريعة، وبإضافة الحرية للشريعة، يجعل للحرية مرجعية إلهية موحى بها، وهذه المرجعية كفيلة بأن تحمي الحرية فلا تستطيع يد العابثين وأصحاب الأهواء والرغبات العبث بها.

كما أن الشريعة الإلهية هي التي تضمن الحرية الحقة لجميع الناس بلا إفراط ولا تفريط لأنها من لدن حكيم خبير {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك.

١٨- مواجهة النورسي للنظام والساسة أصحاب الأفكار الفاسدة الذين تلبسوا بغطاء الحرية وتشويههم لصورة الحرية الشرعية، وإدعائهم بأن الشريعة مصدر الاستبداد والظلم وتصحيحه للمفاهيم المغلوطة عن الحرية، ورفضه لمفهوم الحرية للتصور الغربي عند دعاه

المدنية الغربية والتي تعني التحرر وإطلاق الزمام للنوازع.

هذا بالإضافة إلى قدرة النورسي العجيبة على صياغة الحرية الشرعية ووضعها بمفهوم الحسنة.

١٩- سعي النورسي لنشر مفهوم الحرية الشرعية بين أفراد المجتمع التركي من خلال الخطب والمحاورات والمقالات وإرسال الرسائل لعدم ضياعها (أي الحرية) وقتلها ووضعها موارد الامتهان، ولقطع الطريق على من يشوهون صورة الحرية الشرعية ويسئون للإسلام بأنه منبع الاستبداد والتعصب.

ولتحقيق هدفه ومساعاه قام بالتأطير والتأصيل لطبيعة الحرية الشرعية وتفصيل أسسها وأركانها حتى يسهل على ممارستها كيفية الالتزام بمبادئها والتعامل والتعايش معها وتمثيلها.

هذا بالإضافة إلى تصحيحه ومعالجته للمفاهيم المعكوسة عن الحرية والتي شاعها النظام والساسة بين الأفراد، وأهمها وأبرزها:-

- أن الإنسان مهما فعل في كنف الحرية من سفاهات ورذائل وفضائح لا يؤاخذ عليها ما دام لم يضر بها الناس.

- ما تلبس في مفهوم الأفراد (وخاصة العامة منهم) أن الحرية الشرعية تعني القصاص وقطع اليد.

٢٠- يتلاقى النورسي في الرؤى والأفكار والمسااعي مع الطهطاوي والأفغاني وغيرهم من الزعماء الإصلاحيين المسلمين من أجل ترسيخ وتفعيل حرية العقيدة، وإبرازهم أن حرية العقيدة شيء متأصل وراسخ في الإسلام، وأنه أرسى مبدأ لا إكراه في الدين.

ورغم هذا التلاقي فإننا نجد تبايناً جزيئياً في بعض التصورات والتطبيقات للحرية الدينية:

فبينما يسعى الأفغاني لتحقيق الحرية الدينية السلطوية (الخلافة) من خلال تطبيق أحكام الشرع كواقع عملي بإقامة الحدود، وأن تنفيذها شرط أساسي لمن يريد أن ينال السلطة.

فإن النورسي يسعى لتحقيق الحرية الدينية من خلال إفساح المجال لتطبيقها في المجتمع من خلال الأفراد وليس السلطة، وذلك لمواجهة المد الإلحادي الذي تقوم بفرسه وإقامة أركانه سلطة الدولة.

فالنورسي أقصى ما يتمناه ويريد تحقيقه هو ضمان حرية العقيدة وتمهيش المناخ لمزاوتها وهذا ما دعاه للقول: "أنه لا يمكن لأي شعب (وليس سلطة) أن يعيش بلا دين"

ولعل دعوة النورسي لحرية العقيدة لم تكن قاصرة على المسلمين فقط، بل إنه يدعوا بالحرية الكاملة لكل الناس بأن يمارسوا حريتهم الدينية ويزاولوا شعائهم، وهذا ما أكد عليه النورسي بقوله: "إن حرية غير المسلمين هي شعبة من حريتنا".

٢١- سار النورسي وزعماء الحركات الإصلاحية على نفس مسلك وخطى المنهج الإسلامي الذي يقرر بإزالة العوائق التي تعوق حرية الإنسان الشخصية.

ولكن يبدو واضحاً أن مفهوم الحرية الشخصية مكتمل العناصر والأركان عند النورسي من غيره، ويوضح ذلك من خلال إضافته للنص بقوله "حركاته المشروعة" وقوله "ولا يتأمر عليه غير قانون العدالة والتأدب".

كما أنه يبرز في مفهومه أهم ما تستوجه الحرية الشخصية.

كما أنه يلفت أنظارنا من خلال النصوص التي أوردناها - عن الحرية الشخصية - أن تقييد الحرية الشخصية يقضي على كثير من أنواع الحريات، وأهمها:-

- الحرية العلمية: وذلك يفرز الجهل والتخلف ويعوق التقدم والرقي في جميع المجالات.

- الحرية الوجدانية: ويتقيدها ينتج الكبت والإرهاب وعدم الولاء.

- الحرية الدينية: ويتقيدها ينتج التعصب البغيض الذي يتنافى أساساً مع سماحة الأديان السماوية، وهو ما يعبر عنه النورسي بقوله "إن أخصب مرتع للفكر الفوضوي الإرهابي هو الأماكن المزدهمة بالمظلومين" وهذا ما جعله يفضل الموت والقبر على تقييد حريته الشخصية.

ولعل هذا ما نراه ونسمعه في وسائل الإعلام عن يفضلون ويقومون بتفجير أنفسهم على البقاء أحياء وهم مضطهدون وقد سلبت حريتهم الشخصية.

٢٢- يؤكد النورسي على حرية الرأي لأنه شيء راسخ وقاعدة أساسية في الإسلام، حيث منح الإسلام كل فرد الحق في إبداء رأيه عن أي طريق شاء، من أجل الوصول إلى الرأي السديد النافع، ولكي يكون لبنة في بناء المقصد والتوجه، وتفعيل دور العقل وتعزيز قيمته لكي يولد فيه فكراً حراً.

وتتجلى حرية الرأي عند النورسي ظاهرة وجلية من خلال إبداء رأيه على السلطان " عبد الحميد " لإنشاء مدرسة الزهراء، والمحاورات والمناقشات والمقالات وإلقاءه الخطب في الميادين والجوامع، وأبرزها خطبته الشامية التي ألقاها في دمشق، وكشف فيها عن الأمراض التي أصابت الأمة وطرق علاجها.

ولكن مع هذا كله فإن السلطة الحاكمة حاولت بكل ما أوتيت من قوة سلب حق النورسي في التمتع بحريته وإبداء رأيه، من خلال الحبس والنفي والعزلة، وعندما لم تتحقق رغبتها دست له السم مراراً وتكراراً، ولكن الله أنقذه لكي ينقذ معه كلمة الحق التي ينطق بها لسانه ويسجلها قلمه.

٢٣- تعتبر الحرية الفكرية من أهم وأبرز صور الحرية وأشكالها التي جاهد النورسي لترسيخها في المجتمع التركي بعد حرية العقيدة، بدءاً من سعيه لإنشاء جامعة الزهراء لمحوا الجهل المتفشي، ثم موقفه من بعض دعاة التصوف الذين أصبحوا أبواقاً لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية، واصطباغ الدين بصبغة الجهل والتخريف، وتفضيلهم التقليد على الاجتهاد والابتكار، وإنهاء بمواجهته لدعاة الفكر التغريبي التخريبي، والذي أراد النظام فرضه على العقول دون اختيار.

ويستند النورسي في كل ذلك إلى أن الحرية الفكرية في الإسلام هي من أهم الحقوق بل هي فريضة واجبة، وأن الإسلام كما أنه جاء ليحرر الإنسان من ظلم الرق والاستعباد، فإنه عمد أولاً لتحرير الفكر من سجن الأوهام والخرافات والأساطير ولكي يعتق العقل من قيده، بل إنه يبرز إلى أن أهم ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان، هو تأكيده على قيمة

الحرية الفكرية، وحثه على التدبر والملاحظة واستشهاده بالعقل.

٢٤- سعى النورسي لإزالة ما يعوق الحرية السياسية، وذلك بإقراره للمشرورية في ضوء الشريعة، وسعيه لترسيخ مفهوم الشورى الإسلامية كبديل للمشرورية الغربية. ويستشهد النورسي بالحرية السياسية المتأصلة في الإسلام والتي صار على هديها الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم أجمعين).

ورغم توافق النورسي والأفغاني أن الدولة لا بد وأن تكون قائمة على دين ودنيا فإن النورسي يرفض استخدام الدين كأداة للسياسة لتحقيق الأغراض السياسية ولكنه يجعل من السياسة آلة للدين.

ونحن أخرج ما نكون لدراسة هذه النظرة ونشرها على مسامع الأحزاب والحركات والجمعيات السياسية التي ترفع شعار الدين لتهمج مشاعر الأفراد ضد سياسة السلطان حين لا تلي مطالبهم أو تعارض أهدافهم مع أهداف السلطة القائمة.

ومن ناحية أخرى نرجوا أن يصل كلام النورسي إلى مسامع أرباب السلطة الذين يستخدمون الدين كأداة لتحقيق مآربهم من خلال الفتاوى المطبوعة ببهارات تأويل الأدلة الشرعية.

٢٥- يصنف النورسي في مقدمة المفكرين الذين أسسوا مشروعاً متكاملًا لحرية الحوار بمفاهيمه ومعانيه، سواء كان:-

- حوار الإنسان مع نفسه.

- حوار الإنسان مع الإنسان.

- حوار الحضارات.

والمتصفح لرسائل النور يجد أن النورسي يقدم بديلاً موضوعياً لفكرة صدام الحضارات أو استبداد الحوار، من خلال عرضه مبدأ "التكامل" بدل "الصراع" و "التعايش" بدل "الإقصاء".... ويتخذ النورسي من نصوص القرآن منصة الانطلاق لحرية الحوار المؤسس على السلم والتعاون والتفاهم والتعايش، بعيداً عن النظرة العدائية،

واستبداد ناصية الحوار، والدعوى بامتلاك الحق.

وهذا المشروع النورسي الذي يدعوا إلى حرية الحوار، يحتاج إلى نشره والعمل به ويحتاج من الذين فهموا مضامين الرسالة الإنسانية الإسلامية وأدركوا أبعاد المتغيرات العالمية الجديدة، أن يكونوا سفراء كالتورسي عن دينهم الوسطي المعتدل، وإيجاد الخطاب الحر المقنع لتقديم الإسلام على حقيقته، لا على الصور التي تأتي بها أحداث العنف الإرهاب وتلتقطها وسائل الإعلام لإشعال نيران الكراهية، والتهويل بالخطر الإسلامي على الحضارة وعلى الإنسانية... والإسلام بريء من ذلك، لأنه يؤمن بالإنسان كوحدة واحدة، وأنه كائن حوارى، يحيا بالحوار وداخل الحوار بعيداً عن الاستبداد والإكراه والإلزام وفرض الأمر الواقع.

٢٦- يعالج النورسي أخطر قضايا العصر، وهي انعكاس المفاهيم، وقناعة السذج، وأصحاب العقول القاصرة أنها الصواب، وتفسيرهم للحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغماس في السفاهات والملاذات غير المشروعة والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء إتباعاً لهوى النفس.

ويشبه النورسي الفرق بين الحرية والتحرر وعدم التلاقي بينهما بثياب المرأة إذا ما لبسه رجل.

ورغم رفض النورسي للتحرر السلبي الهدام، فإنه يدعوا إلى التحرر الإيجابي البناء ومن أهم صور وأشكال التحرر التي يدعوا إليها النورسي:-

- التحرر من الجهل: لأنه من أعدى أعدائنا، ولأن الإسلام يعادي الجهل، ولأنه منافي للإنسان المكرم بالعقل، والمخلوق في أحسن تقويم.

ضف إلى ذلك أن الجهل يعوق معرفة الإنسان بربه وخالقه، ويعوق معرفة الإنسان بنفسه، ويعوق عقله من الحرية الفكرية، ويعوقه من الوصول إلى الحقيقة ويفتح أمامه باب الخرافات والشبهات.

- التحرر من التقليد: وذلك لأن القرآن عندما أرسى قواعد البحث وأصول التفكير، فإنه عمل على تحرير العقل أولاً من رواسب التقليد، وعاب على المقلدين بلا وعي أو

إدراك.

وذلك لأن التقليد يسوق الإنسان دون إستيعاب إلى الظن والهوى والاسترسال مع الباطل، ويجعل الإنسان أسير مكبل بأغلال من يقلده، كما أنه يمثل سداً منيعاً أمام جميع صور الحرية التي يريد الإنسان أن يتمتع بها.

بهذا كانت دعوة النورسي للتححرر من التقليد، وخاصة تقليد الغرب.

- التحرر من الأنانية والعجب والغرور: ودعوة النورسي للتححرر من هذه الأمراض لأنها إما أن تؤدي إلى السلبية والانعزالية، وإما أن تؤدي إلى الظلم والاستبداد وكل هذا ينشأ نتيجة البعد عن الله.

- التحرر من التعصب، يدعوا النورسي إلى التحرر من التعصب لأن الإسلام يمقت التعصب والتشدد، لأنه أسر للإنسان، وعائق لحرية الفكر والرأي والحوار، كما انه يقضي على كل جديد قبل أن يولد، ولأن التعصب ليس اللائق بالعقلاء.

ويبين النورسي أن التعصب مصدره الجهل، ولا يولد إلا العنصرية والأنانية والعنف والمغالاة والهوس والسفسطة.

ويبرز النورسي ميزة الإسلام الحق التي تميزه عن سائر الأديان، بأنه دين العقل والحكمة والعلم، وليس دين التعصب والاستبداد كما يدعي الغرب الآن، وهو إدعاء باطل.

- التحرر من العنف: تعتبر هذه الظاهرة من أخطر الظواهر التي تنامت في هذا العصر (عصر الصراعات) وتيرتها، وهي آفة سلبت حرية الأبرياء، وأزالت راحة البال منهم، وحرمتهم من حياة حرة كريمة.

ويؤكد النورسي أن منبع العنف هو التعصب العنصري والأنانية.

وفي هذا البحث نبرز رفض الإسلام للعنف، ودعوته لتأمين الحريات والمحافظة على الأنفس لأنها من مقاصد الشريعة، حتى لغير المسلمين.

وسار النورسي تبعاً لمنهج الشرع، بل ويؤكد أن هذه الخصيصة تمثل جوهر الخلاف بين

سياسة التحرر للمدنية الحاضرة، وبين الحرية الشرعية المنضبطة وعدالة الإسلام.

ويؤكد النورسي أن الدخول إلى دائرة العنف في القول أو العمل أمر لا يليق بالأحرار ونراه يدلل على ذلك كواقع عملي من خلال رفضه للمشاركة في ثورة الأتالييم التي يتزعمها الشيخ "سعيد بيران"، وإقناعه "حسين باشا" بعدم الانضمام لكي لا تراق الدماء وتهدر الحريات

٢٧- ينفرد النورسي (كما يبدو لي) بربطه الشديد بين الإيمان والحرية، وجعلها (أي الحرية) أثر وخاصة من خصائص الإيمان، وبالإيمان يصبح الإنسان الخليفة سلطاناً حراً لتعمير الكون، وتصبح نفسه وذاته حرة من أسر الهوى والشيطان.

فبمقدار قوة الإيمان تتلأل الحرية، وكلما رسخ الإيمان قويت الحرية، وبهذا فهو يستخدم الإيمان كمانع لحرية الإنسان داخلياً وخارجياً، باطنياً وظاهراً.

ويستشهد النورسي على أثر الإيمان في حرية الإنسان بما كان يرفل به (أهل الإيمان) عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ويؤكد هذا ما قاله سيدنا عمر رضي الله عنه: "لقد كنا أذلاء، فأعزنا الله بالإسلام".

وبين النورسي أن الحرية خاصة الإيمان وأثر من آثارها، لأن الحرية تشمن بالتربية الإسلامية، أما الحرية غير المنضبطة بالشريعة فهي خطر على الحرية نفسها إذ ستلد نقيضها حال تفريطها في الانضباط بالأحكام الشرعية.

ولعل هذا الربط مرجعه أمرين:-

- مواجهة النورسي للمد الإلحادي والأفكار المتحررة من الدين، وإزالة فكرة

تقديس

الفرد، وتحرير الإنسان من أسر الأهواء والرغبات الشيطانية.

- سعيه الدؤب لترسيخ الإيمان ونشر الأخلاق الإسلامية، وعدم خروج الحرية عن إطار الشريعة، وهذا ما دعاه أن يعبر عن الحرية التي لم تلد من رحم الإيمان بأنها: ليست إلا السفاهة والردائل، بل تلك حيوانيه وبهيمية وتسلب شيطاني ووقوع في أسر النفس

الأمانة بالسوء.

٢٨- حرص النورسي في رسائله على إجلاء وبيان أن الحرية الحقيقية التي نادى بها القرآن الكريم، وجعلها مظهراً من مظاهر تكريم الله للإنسان، وقيمة من القيم الإنسانية الكبرى، تختلف اختلافاً جذرياً عن الحرية التي جاء بها الإنسان من خلال القوانين والمنظمات والهيئات المنادية لحقوق الإنسان.

ثم يعلل النورسي عن تأكيده أن الحرية مظهر من مظاهر تكريم الإنسان، بأن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة (مادة وروح) وهذا التميز الذي مبناه على الطبيعة الازدواجية في خلق هذا الكائن، فإنها تستلزم بطبيعتها الحرية، وأن يكون الشخص حراً لا يملكه أحد من الناس، وهذا ما أكد عليه النورسي بقوله: "نحن أحرار منذ القدم (أي منذ خلق الله آدم) فقد ولدت حريتنا توأماً معنا" أي أنها ملازمة للإنسان منذ أن خلقه الله وأوجده خليفة عنه على سطح هذا الكون.

٢٩- يتلاقى النورسي مع العلماء القدامى والمعاصرين أن الإنسان الحر هو إنسان مسئول مسئولية كاملة لأي فعل ما، وأينما وجدت الحرية وجدت المسئولية.

فالمسئولية تلقي بعاتها على الإنسان الحر لكي لا يتعدى بحريته على حرية الآخرين، وللتأكيد على أن الحرية في الفكر الاسلامي إنضباط وليست فوضى.

٣٠- يعالج النورسي بأكثر قدر من الشفافية والوضوح أخطر قضية يدور فيها البحث في الفكر الاسلامي، وأقيمت من أجلها المناظرات والمحاورات، بل وقامت باسمها مدارس فكرية، ألا وهي: مسألة القدر وصلتها بالحرية المسئولة للإنسان.

فالنورسي يقرر أنه لا تكليف بلا اختيار، والاختيار يقتضي الحرية والمسئولية، أما مسألة القدر فهو ليس للفرار من التكليف والمسئولية، بل هو لإنقاذ الإنسان من الفخر والغرور، ولهذا دخل ضمن مسائل الإيمان.

ويفرق النورسي بين رؤية صاحب الإيمان لمسألة القدر والجزء الاختياري، وبين رؤية صاحب الغفلة والضلالة، وذلك لبيان أن رؤية صاحب العقيدة الصحيحة لمسألة القدر هي أكثر وضوحاً واستيعاباً وفهماً، أما رؤية صاحب الغفلة فهي ضبابية وعقله المتسخ

بالإلحاد عاجز عن فهمها وإدراكها.

كما أننا نجد التوافق والتلاقي في وجهات النظر والرؤى والعرض والتحليل بين النورسي والمفكر "محمد الغزالي"

٣١- لقد عاصر النورسي فترة هي أخطر فترات التاريخ علي المجتمع التركي، إذ رأى أن أخطر منزلق تنحدر فيه الأمة إلى الهاوية، هو الجهل والانعدام المعرفي وتوسيع الهوة بين الدين الإسلامي وبين الغرب، مما أدى إلى اعتقادهم بأن مبادئ الإسلام تتناقض مع حقائق العلم والمعرفة.

هذا بالإضافة إلى ما قام به النظام بعد إلغاء الخلافة من طمس ومحو ما هو راسخ في عقول الأفراد من تعاليم الدين، وخاصة الناشئة، وتشكيكهم في وجود الله ومعرفته، ومسح أي معرفة إيمانية.

لهذا وغيره رأى النورسي أن قضية المعرفة من أهم القضايا المركزية في رؤيته التجديدية، لأن معالجتها وصحوة العقل من كهفته المطبقة، هي المدخل الطبيعي لإعادة التوازن إلى شخصية الأمة.

ومن خلال البحث في النصوص المستخلصة والمستخرجة من رسائل النور نستطيع أن نقف على مفهوم المعرفة عند النورسي، وهي لا تخرج عن معرفة الله ويجعل الإيمان ملاصقاً وملازماً لها، حيث أنه لا يتصور إيمان بدون معرفة أو معرفة بدون إيمان.

٣٢- يشترك النورسي مع الأئمة الذين نقدوا علم الكلام من أمثال أحمد بن حنبل والغزالي وابن رشد وابن تيمية وجلال الدين الرومي، وغيرهم من العلماء والمفكرين والصوفية، الذين شككوا في قيمة الكلام كمنهج يقود إلى معرفة الله المعرفة الكاملة.

كما أنه لا يرتضى بالمنهج الصوفي كطريق يقود إلى معرفة الله لأنها معرفة ناقصة ومبتورة.

أما موقفه من المعرفة الفلسفية: فإنه يرفض الأخذ بالمعرفة الفلسفية المادية التي لا تتوافق مع المعرفة القرآنية، ويدعوا إلى مشاهدة ثروة القرآن المعرفية وغناه الواسع لبناء نوع

من المركزية المعرفية الإسلامية.

ويؤكد النورسي أن هذا لا يلغي دور الفلسفة الحديثة في مضمار البناء المعرفي الحضاري، ولا يسد باب التلاقح الفكري والتفاعل المعرفي، لاسيماً تلك التي تتماس مع الحقيقة العلمية، وهو ما يجعلها تتلاقى مع تحفيزات القرآن فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

٣٣- يسير النورسي بتوافق تام مع ما قرره الإسلام من إمكان المعرفة، وتأكيده على وجود الأشياء والموجودات، وقبوله الشك المنهجي - في ضوء ما قرره الإسلام - الذي يبدأ به الإنسان من أجل الوصول إلى المعرفة الحققة.

ويؤكد النورسي على أن الذين ينكرون المعارف سقطوا في حضيض الحماقة والجهل والضلالة، وأساءوا إلى إنسانية الإنسان المكرم.

هذا بالإضافة إلى رفضه إلى الشك المطلق، الذي يؤدي بالإنسان إلى اليأس والقنوط، مما يجعله مسخاً لا حراك له في الحياة.

٣٤- يتلاقى النورسي مع معظم المفكرين والعلماء المسلمين في اتفاقهم على أن أهم مصادر المعرفة التي ينالها الإنسان هو " الوحي " الذي يكشف للإنسان حقائق ما كان ليصل إليها بدونه.

ويرى النورسي أن أفضل معراج للوصول والعروج إلى عرش الكمال (وهو معرفة الله تعالى) هو المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، وهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله واشمله لبنى الإنسان.

وهو بهذا يدعو المسلمين والعقلية الفلسفية المسلمة إلى البحث والتنقيب في مخزون المعرفة القرآنية، بدلاً من الانغماس والسير في ركاب الفلسفة اليونانية دون غيرها، وإهمال ما لدينا من معرفة موحى بها من عند الله تخاطب العقل والقلب، وتنطلق من الكون والإنسان والربط بينهما في العديد من الآيات، إلى كونها قد ركبا بشكل يجعلهما " مناظرين " لما يمكن أن يجبر به القرآن من أمور غيبية.

كما يلفت أنظارنا إلى طريقة المنهج القرآني في المعرفة، ومن أهمها ضرب الأمثال والتي استخدمها النورسي في رسائله، ويعترف بأنها نعمة أنعمها الله عليه وذلك لأنه بمنظار ضرب الأمثال يمكن: إظهار الحقائق البعيدة أنها قريبة جداً واختراق الأبعاد في مختلف الاتجاهات والحدود والحواجز... وغيرها مما اشتملت عليه ضرب الأمثال من دلالات وخصائص اقترنت بها، وهي تجمع بين القوة والتساند والتدرج والتواصل والشمول.

٣٥- من خلال البحث في رسائل النور، نرى أن النورسي يعطي الأنبياء - وهو يستعرض وظيفتهم - مهمة التنوير والمعرفة وهداية الناس إلى ما يحققون سعادة الدنيا والآخرة، وينظر إلى شخصية النبي المعنوية باعتبارها شمس الكائنات، والسراج المنير للخلق أجمعين، لأنه يضيء الطريق للإنسانية من أجل الوصول بهم إلى معرفة الله. كما يتجلى أن أبرز الوظائف التي يسندھا النورسي للنبي هي أنه معرف وموصل إلى معرفة الله.

٣٦- يستعرض النورسي في رسائله الآيات الكونية لاشتمالها على البراهين الدالة على معرفة الله ووحدانيته، وأن الكون فتح أفاقاً أرحب ونوافذ أسطع إلى معرفة الله. والنورسي ينوه إلى الكون باعتباره كتاب صمداني، يتطوي على معاني عميقة وغزيرة، يجب التعرف عليها، ليستقي منها الإنسان ما يوصله إلى معرفة الله مع الحذر وعدم السقوط في مستنقع الكون وتأليه الطبيعة.

ولهذا فإن النورسي يوجه نظر الإنسان في كل مكان وزمان إلى استقراء الدليل الكوني بمنهج قرآني، وذلك لترابط القرآنيين "المقروء والمنظور" وتسندهما وتعاونهما، في أن يفسر كل واحد منهما الآخر، لإيضاح الصورة المعرفية الصافية.

٣٧- يسير النورسي على حقيقة ما أقره الشرع وأتفق عليه الفلاسفة المسلمون باعتبار العقل مصدراً من مصادر المعرفة.

وتكتنز رسائل النور بمدح العقل، وكونه آية من آيات الله وأنه "أثمن نعمة" وهو "مفتاح الكنز" المعرفي، وعلامة تميز الإنسان عن سائر الكائنات... بل إن العقل هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها.

ويتجلى موقف النورسي من العقل بتأكيدهِ على ما قرره الشرع وتوافق عليه علماء المسلمين جميعاً من ارتكاز التكليف على العقل.. وأن سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه.

كما يتفق النورسي مع الإمام الشاطبي ومحمد عبده ومحمد الغزالي على مسألة معقولة الحقائق الإسلامية، وهي أحد الأمور الجوهرية التي تفصل بين الإسلام والنصرانية في علاقة كل منهما بالمعرفة والمدنية.

كما يتلاقى النورسي مع غالبية العلماء والفلاسفة المسلمين (قديمهم وحديثهم) بتوافق وتلازم النقل والعقل وعدم معارضتهم، فالشرع يسير في طريق العقل... والعقل يسير بنور الشرع، فالعقل مع الشرع نور على نور.

ويؤكد النورسي بأنه إذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلاً ويؤول النقل ولكنه يتفرد عن سابقه بأنه حدد خصائص ومواصفات هذا العقل الذي له حق تأويل النقل، وهو ما نستطيع أن نسميه "العقل الإبياني" أو كما يسميه النورسي "العقل القرآني".

٣٨- يرى النورسي أن في الإنسان استعداداً فطرياً للتعامل مع الإلهام باعتباره مصدراً للمعرفة، ويتلاقى مع ابن سينا في تعريفه للإلهام.

ورغم أن النورسي يقر بالإلهام ويقدمه كمصدراً للمعرفة، فإنه يعرض ويتقدم هذا المصدر برؤية تختلف اختلافاً جذرياً عما هي عليه عند الصوفية حيث أنه رأى أنهم قد شوهوا هذا المصدر بشطحاتهم وخلطهم.

وهذا ما دعاه لان يطرح في رسائله إطاراً محدداً وتصوراً مصوناً يحمي به هذا المصدر ليؤدي دوره كمصدر معرفي بعيداً عن الشطحات والمفاهيم المعكوسة، وذلك من خلال قوله: "الإلهامات الصادقة" وقوله "الإلهامات الغيبية" وذلك من أجل سد الطريق أمام شطحات بعض المتصوفة، الذين يشبهون إلهاماتهم بأنها وحى وكلام من عند الله، وهذا ما يتميز به النورسي.

ومن أجل الإيضاح وعدم الخلط فإنه يقوم ببيان الفرق بين الإلهام والوحي.

إذاً فرغم أن النورسي يؤكد على الإلهام كمصدر لمعرفة الخالق، إلا أنه لا يرتضي به كمصدر وهو ممزوج بالوساوس الشيطانية والمزالق والخلط المشين ولهذا أراد أن يوضح المسار الصحيح لهذا المصدر ليثمر الغاية الصحيحة المرجوة منه.

٣٩- يتضح مما سبق أن النورسي أراد أن يقيم عدة مرتكزات معرفية لكي تكون سلماً يرتقي عليه الإنسان المسلم إلى أعلى درجات الإيمان والمعرفة اليقينية، ولكي تصل به إلى الازدهار والتقدم المعنوي والحضاري الذي يليق به كإنسان مسلم.

ويبدو لي أن أهم هذه المرتكزات (المعرفية) وأبرزها هي ما يلي:-

- المرتكز المعرفي الكوني للاستخلاف، وذلك بربط حركة الإنسان الخليفة بالكون ودعوته إلى التأمل والسير في الأرض واستعمارها وتسخيرها في تحقيق الأمانة.

-- المرتكز المعرفي التوحيدي، وذلك بربط الإنسان الخليفة بخالقه، وجعله متصلاً بالله سبحانه وتعالى.

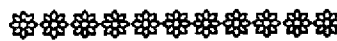
- المرتكز المعرفي الحضاري للاستخلاف، وذلك بتوجيه الإنسان الخليفة إلى الجمع بين متطلبات الجسد والروح... والواقع والمثال.

- المرتكز المعرفي الأخروي، وذلك بربط حركة الإنسان الخليفة بالجزاء الأخروي المضمون في حالة استقامته على الطريقة، وحمله الأمانة على وجهها الصحيح، وهذا المرتكز هو الذي يقدم الدعم النفسي والمعنوي للإنسان، عندما يضمن له ثمرة جهاده وبحثه ونتيجة عمله للمصالحات.

أسأل الله القبول والإخلاص في القول والعمل.

وعلى الله قصد السبيل، انه بالإجابة جدير، وهو على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الخاتم الأمين.



مصادر البحث

١- القرآن الكريم.

٢- السنة النبوية.

مؤلفات النورسي:-

١- سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، م١، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢- سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، م٢، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣- سعيد النورسي: اللغات، ترجمة: إحسان قاسم، م٣، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤- سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، م٤، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٥- سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحسان قاسم، م٥، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦- سعيد النورسي: المثنوى العربي النورى، ترجمة: إحسان قاسم، م٦، ط٣، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٧- سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، م٧، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٨- سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، م٨، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٩- سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم، م٩، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٠- سعيد النورسي: مجموعة الموازنات بين الكفر والإيمان، ترجمة: إحسان قاسم، ط١ سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١١- سعيد النورسي: مجموعة عصا موسى، ترجمة: إحسان قاسم، ط٢، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٢- سعيد النورسي: مرقاة السنة، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٣- سعيد النورسي: التوافذ، ترجمة: إحسان قاسم، ط١، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٤- سعيد النورسي: مرشد أهل القرآن، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٤- سعيد النورسي: أنوار الحقيقة، ترجمة: إحسان قاسم، ط٢، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

مؤلفات عن النورسي:-

١- أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢- إحسان قاسم الصالحي: النورسي حياته وأثاره، ط٣، دار الوفاء بالمنصورة، ١٩٨٨م.

٣-١.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: بحوث في فكر النورسي، ط١، مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٩م.

٤-١.د/ أحمد عبد الرحيم السايح، ١.د/ سامي عفيفي: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ط١ سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٥- أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ط١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦- خديجة النبراوي: دور رسائل النور في يقظة الأمة، ط١، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧- خديجة النبراوي: مشكلات نفسية للإنسان، ط٢، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٨- د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي، ط٢، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٥م.

٩- طه عبد الرحمن: دراسات في رسائل النور "الإسلام على مفترق الطرق" تقديم ١.د/ إبراهيم أبو ربيع، ونقله إلى العربية: محمد فاضل، ط١، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٠- د/ عشراي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ط١، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٩م.

١١- د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته، ط١، دار نور الإسلام، المنصورة ١٩٩٦م.

١٢- د/ محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٥م.

أعمال مؤتمرات عن النورسي:-

١-١.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: سعيد النورسي وأثره في ترسيخ الإيمان، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول، ١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢-١.د/ أحمد محمد الجلي: النورسي وتجديد دراسات العقيدة الإسلامية، أعمال مؤتمر

- العولة والأخلاق، المؤتمر العالمي السادس، إستانبول.
- ٣- د/ آزاد سعيد سمو: أسس علاقة العالم الإسلامي مع الغرب في ضوء رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م، نسل للطبع، ٢٠٠٢م.
- ٤- أحمد بهجت: سعيد النورسي الرجل والدور، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي إستانبول، ١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٥- أديب إبراهيم الدباغ: هوامش على فكر النورسي وسيرته، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول، ١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٦- حسين عاشور: النورسي والدفاع الاستراتيجي، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول، ١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٧- د/ زياد خليل الدغامين: عدالة المشروع الحضاري في المنظور النورسي، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول، ٢٠٠٧م.
- ٨- دة/ زينب عفيفي: مفهوم العدالة عند النورسي، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول، ٢٠٠٧م.
- ٩- د/ عادل محمود بدر: نظرة النورسي إلى عصر النهضة وعلم الكلام، أعمال مؤتمر العولة والأخلاق، المؤتمر العالمي السادس، إستانبول.
- ١٠- د/ عبد الوهاب بوخلخال: مباحث النبوة وعلاقتها بالإنسان من خلال رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م، نسل للطبع، ٢٠٠٢م.
- ١١- د/ عبد الوهاب بوخلخال: موقف بديع الزمان من علم الكلام، أعمال مؤتمر العولة والأخلاق، المؤتمر العالمي السادس، إستانبول.
- ١٢- د/ عبد الودود شلبي: النورسي المصلح الذي تجسدت في دعوته كل حركات التجديد أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول، ١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة ١٩٩٣م.
- ١٣- د/ عمار جيدل: ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م، نسل للطبع، ٢٠٠٢م.

- ١٤- ا.د/ة فردوس أبو المعاطي: العدالة والتصوف، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول، ٢٠٠٧م.
 - ١٥- د/ محمد الصمدى: تجديد التصوف عند النورسي، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول، ٢٠٠٧م.
 - ١٦- ا.د/ محمد بتهيله: موقف النورسي من الحضارة الغربية، أعمال مؤتمر العولمة الأخلاق المؤتمر العالمي السادس، إستانبول.
 - ١٧- محمد رشدى عبيد: ملامح تربوية في رسائل النور، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول، ١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
 - ١٨- محمد رضوان خليل مجدلاوى: التوازن بين العقل والقلب في القرآن الكريم من منظور رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م نسل للطبع، ٢٠٠٢م.
 - ١٩- ا.د/ مصطفى فوزيل: مفهوم المعرفة من خلال رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م نسل للطبع، ٢٠٠٢م.
 - ٢٠- ا.د/ وهبة الزحيلي: الإنسان في القرآن الكريم بمنظور رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م نسل للطبع، ٢٠٠٢م.
- مراجع عامة:-
- ١- إبراهيم بن موسى اللخمي (الإمام أبى إسحاق الشاطبي): الموافقات، سلسلة التراث الهيئة المصرية للكتاب، إصدار مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.
 - ٢- أبى عبد الله محمد بن إدريس (الشافعي): ديوان الشافعي، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
 - ٣- إبراهيم أحمد الوقفي: الحوار لغة القرآن والسنة النبوية، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٩٣م.
 - ٤- أبو محمد بن سعيد الببلاوى: التقليد المشروع منه والمنوع، دار الفرقان، باكوس، بدون.
 - ٥- إتحاد طلاب جامعة أمسيوط: رسالة المرأة المسلمة، تصدرها جامعة أمسيوط، ١٩٨٦م.

- ٦- ا.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، دار المحمدية القاهرة، ١٩٨٠ م.
- ٧- السيد سابق: فقه السنة، م ٢، منار الدولية، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- ٨- السيد يوسف: الإمام محمد عبده رائد الاجتهاد والتجديد في العصر الحديث، الهيئة المصرية للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧ م.
- ٩- المعجم الوجيز: معجم اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٩٩٥ م.
- ١٠- حنان سالم منصور شبايك: مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي السياسي، رسالة دكتوراه في الفلسفة إسلامية، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٥ م.
- ١١- داود عبد الكريم زكريا: عناية الإسلام بالعلم والمعرفة، مقال بصحيفة الدعوة الإسلامية العدد رقم (١١٢٢).
- ١٢- د/ راجح عبد الرحمن الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ط ١، مكتبة المؤيد الرياض، السعودية، ١٩٩٢ م.
- ١٣- ا.د/ زينب رضوان: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، ط ١، دار المعارف القاهرة، ١٩٨٣ م.
- ١٤- د/ سامي نصر لطيف: الحرية المستولة في الفكر الفلسفي الإسلامي، الحرية الحديثة القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ١٥- ا.د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: حضارة الإسلام، طبعة المعهد العالي للدراسات الإسلامية القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- ١٦- ا.د/ عاطف العراقي: الفلسفة العربية (مدخل نقدي)، ط ٢، لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- ١٧- ا.د/ عبد الودود شلبي: في مسألة السفور والحجاب، هدية مجلة الأزهر، ١٤٠٥ هـ.
- ١٨- د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ط ١، مكتبة المؤيد، الرياض، السعودية، ١٩٩٢ م.
- ١٩- د/ عبد الله بن محمد القرني: المعرفة في الإسلام مصادرهما ومجالاتهما، دار عالم

- القوائد السعودية، ١٤١٩هـ.
- ٢٠- د.ا/ عزت قرني: العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، عالم المعرفة، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠م.
- ٢١- د/ ماجد فخرى: ابن رشد فيلسوف قرطبة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٢٢- د.ا/ محمد سيد طنطاوي: أدب الحوار في القرآن، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٢٣- د.ا/ محمد إبراهيم الشافعي: المسئولية والجزاء في القرآن الكريم، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ١٩٨٢م.
- ٢٤- د.ا/ محمد سيد أحمد المسير: التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، نهضة مصر القاهرة ٢٠٠٦م.
- ٢٥- د/ محمد ممدوح على محمد العربي: الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، الهيئة المصرية للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.
- ٢٦- د/ محمد سليم محمد غزوي: الحريات العامة في الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، بدون.
- ٢٧- محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، دار ثابت، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ٢٨- محمد عبد الفتاح عفيفي: طريق النجاة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ٢٩- محمد سيد الاقريع: كيف تكون مسلماً، المختار الإسلامي، بدون.
- ٣٠- د.ا/ محمود حمدي زقزوق: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، طبعة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٣١- د.ا/ محمود عماره: من مظاهر الحضارة في الإسلام، التوحيد بشبين الكوم المنوفية ٢٠٠٦م.
- ٣٢- د/ منيب محمد ربيع: ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها، سلسلة البحوث الإسلامية، ١٩٨٣م.